من بلاغة التنكير

في

حاشية الشهاب الخفاجي ت:١٠٦٩ هـ

على تفسير البيضاوي ت:٦٥٨هـ

د/ دسوقي عبدالمعز محمد محمد

الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد في الكلية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

فإن الله – تعالى –أرسل رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأنزل عليه كتاباً"يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..."(١) وجعله معجزة باهرة شاهدة على صدق دعوته.

فلما أدى النبي – عليه السلام – أمانة تبليغ هذا القرآن وتبيانه للناس، اختاره الله إلى جواره، فقام بحمل الأمانة من بعده أصحابه – رضوان الله عليهم – فكانوا – بحق – عصابة الإيمان، وعسكر القرآن، فحفظ الله على أيديهم هذا الكتاب العظيم.

ولقد أدرك علماء الأمة الذين جاءوا بعدهم مكانة هذا الكتاب وأهمية دراسته وفهمه، فبذلوا الوسع والطاقة فى خدمته، وشمروا عن سواعد الجد فاغترفوا من علمه، ووقفوا على بعض كنوزه وجواهره.

ولما كان هذا هوحال علمائنا، كان حريا أن نتلمس خطاهم، ونسير على دربهم عسى الله أن يشملنا برحمته، ويعمنا بفضله.

ومن هذا المنطلق تأتى هذه الدراسة التى عنونت بـ" من المعانى البلاغية للتنكيرفى حاشية الشهاب الخفاجي ت:١٠٦٩هـ على تفسير البيضاوي ت:٦٨٥هـ" ؛ وذلك فى محاولة للوقوف على بعض أسرارالتنكيرمن خلال تلك الحاشية.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتى فى مقدمة، وتمهيد، ومبحث واحد عنوانه

---

(١) سورة المائدة من الآية:١٦.

"من المعانى البلاغية للتنكيرفى حاشية الشهاب"، ثم خاتمة.

المقدمة: ذكرت فيها قيمة وأهمية الموضوع وسبب اختياره.

التمهيد: وجعلته للحديث عن كل من البيضاوي والشهاب.

مبحث: من المعانى البلاغية للتنكيرفى حاشية الشهاب وتضمن معانى: التعظيم، والتحقير، والتكثير، والتقليل، والتبعيض، والتنويع، والتعميم، والتجاهل، والمبالغة، والدهشة والحيرة، والتلطف، والتنكير لمشاكلة تنكيرآخر.

ومن المعانى السابقة للتنكير ما ورد مستقلا بنفسه، ومنها ماجاء مصحوباً بغيره من المعانى، وقد يرد التنكير محتملا أحد معنيين وهكذا.

الخاتمة:وذكرت فيها أهم النتائج التى توصل إليه البحث، ثم ذكرتُ أهم مصادر البحث ومراجعه، ثم فهرس للموضوعات.

وآمل أن يكون هذا البحث لبنة جديدة في صرح الدرس البلاغي.

"... عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَاوَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُالْفَاتِحِينَ"

والله وليّ التوفيق

تمهيد

وفيـــه مطلبان:

المطلب الأول: الحديث عن البيضاوي.

المطلب الثاني: الحديث عن الشهاب.

المطلب الأول

الحديث عن البيضاوي

نسبه، ونسبته، ولقبه:

هوعبد الله بن أبى القاسم عمر بن محمد بن أبى الحسن على البيضاوي.وكان يكنى بأبى الخير، ويلقب بناصر الدين ويعرف بالقاضى[١].

ونسب إلى المدينة البيضاء- بفتح الباء- وهى مدينة قرب شيراز ببلاد فارس، قيل سميت البيضاء؛لأن لها قلعة بيضاء تبين من بعد، وكان اسمها فى أيام الفرس دار صفيد فعربت بالمعنى.[٢]

ولقب البيضاوي بالشيرازي نسبة إلى شيراز بكسر الشين ، وهى من أعظم مدن فارس، حيث ولد فى إحدى مدنها، وترعرع فيها، وتقلد القضاء فيها.

هذا وقد ذكر البيضاوي نسبه فى مقدمة كتابه الغاية القصوى فى دراية الفتوى، حيث قال:"فأعلم أنى قد أخذت الفقه عن والدى مولى الموالى الصدر العالى، ولى الله الوالى، قدوة الخلف وبقية السلف، إمام الملة والدين أبى القاسم عمر قدَّس الله روحه وهو عن والده قاضى القضاة السعيد فخر الدين محمد بن الإمام الماضى صدر الدين أبى الحسن على البيضاوي قدَّس الله أرواحهم عن الإمام العلامة مجير الدين....."[٣]

ثم ذكر سنده إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ينظر ترجمته فى طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على السبكي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو ، ومحمود محمد الطناحي:٥/٥٩_ مطبعة عيسى البابى وشركاه – ط أولى ١٣٨٣هـ –١٩٦٤م، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:٥/٣٩٢– دار المسيرة – بيروت – ط ثانية – ١٩٧٩م، وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم:٢/٥٠ – دار الفكر – ط ثانية – ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م، وطبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي:١/٢٨٣– دار الكتب العلمية – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي:٢/٣٣٥.

(٣) الغاية القصوى فى دراية الفتوى تحقيق/محيى الدين على القرة داغى:١/١٤٨– د.ت.

مولده:

ولد القاضى ناصر الدين البيضاوي فى بلدة البيضاء التابعة لمنطقة شيراز، وقد غاب عن المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه فى كتبهم، ولم يشرأحد من المترجمين إلى تاريخ ولادته، ولكن على التقريب فهو من علماء القرن السابع، وولادته فى أوائل القرن السابع، أوأواخر القرن السادس.

نشأته:

وأما نشأته فقد نشأ البيضاوي فى بيت علم وبركة، فأخذ العلم عن والده،

كما تتلمذ على شيوخ عصره فى مختلف المجالات، فتربى فى مهد العلم وغذى به وتدرج فيه إلى أن بلغ فيه درجة سامية جمع فيها القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وعلومها، كما برع فى علم الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة، فقال عنه العلماء :إنه كان إماما مبرزا نظَّارا خيرا صالحا متعبدا فقيها أصوليا متكلما مفسرا محدثا أديبا نحويا مفتيا قاضيا عادلا.(١)

عقيدته ومذهبه:

كان البيضاوي متكلما أشعريا متصوفا شافعي المذهب، ظهر ذلك فى كتاباته فى التفسير وغيرها من العلوم التى كتب فيها كالفقه ، والمنطق والعقيدة، ففى علم الكلام ألف كتاب الطوالع ، والإيضاح، ومصباح الأرواح وغيرها، فكتابه طوالع النوار قال فيه الأسنوي: هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف فى علم الكلام.(٢)

وفاته:

توفى البيضاوي فى تبريز ببلاد فارس، ودفن فى"خرانداب" بتبريزعلى شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانسارى.(٣)

---

(١) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين:١/٨٨.

(٢) نهاية السول:١/د

(٣) روضات الجنات:٥/١٣٤.

وأما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون.فقال السبكي([1]) والأسنوي:([2]) سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقال ابن كثير([3]) فى تاريخه والخوانساري([4]) وجمهور المؤرخين: توفى سنة خمس وثمانين وستمائة.

ولتباين هذه الأقوال فى تاريخ وفاته حيث لا يمكن الترجيح، فالمعول عليه هوالأخذ بقول جمهورالمؤرخين أنه توفى عام خمس وثمانين وستمائة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى:٥/٥٩.

(٢) طبقات الشافعية للأسنوي:١/٢٨٣.

(٣) البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الين إسماعيل بن كثير:١٣/٣٠٩- ط ثانية – مكتبة المعارف – بيروت – ١٩٧٩م.

(٤) روضات الجنات:٥/١٣٤.

المطلب الثاني

الحديث عن الشهاب الخفاجي

اسمه، ونسبه:

هوأحمد بن محمد بن عمرالخفاجي المصري الحنفي(١)

والخفاجي:نسبة إلى قبيلة خفاجة(٢)، وهوالمصري: نسبة إلى مصر التى ولد ونشأ فيها، وعاش معظم حياته، ثم مات ودفن فيها.

والحنفي نسبة إلى مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان.

لقبه:

أما لقبه فهو شهاب الدين باتفاق المصادر، ولقب بقاضى القضاة؛لأنه تولى هذا المنصب مدة من الزمن.

ولادته:

ولد الشهاب سنة "٩٧٧هـ - ١٥٦٩م" لأب من خيرة علماء عصره، هومحمد بن عمرالخفاجي المتوفى سنة"١٠١١هـ (٣) وكانت ولادته فى قرية "سرياقوس" قرب القاهرة.

---

(١) ينظر ترجمته فى ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو:٢/٣٢٧-٣٤٠، مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط أولى - ١٩٦١م.

(٢) ينظر دائرة المعارف الإسلامية، تعريب/أحمد الشنتناوي، ومحمد ثابت الفندى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس:٨/٣٩٦- مصر - ١٩٣٣- ١٩٧٥م، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة:١/٣٥٠-٣٥٢ المكتبة الهاشمية - دمشق - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

(٣) ينظر خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، محمد الأمين المحبى:٤/٧٦- مكتبة الخياط - بيروت - د.ت.

نشأته:

نشأ الشهاب فى حجر أبيه، يعلمه، ويؤدبه، وعليه تخرج فى كثير من الفنون، ثم انطلق إلى رحاب واسع، فدرس النحو وعلوم العربية على خاله أبى بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني، المتوفى سنة "١٠١٩"هـ ، الملقب بـ"سيبويه زمانه" ثم درس المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب.

شيوخه:

منهم:

١- الشمس الرملي(١)المتوفى سنة١٠٠٤ هـ ، قرأ عليه شيئا من مسلم، وأجازه بلك، وبجميع مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعن والده.
٢- نورالدين الزَّيَّادي(٢)، رئيس العلماء بمصر، المتوفى ١٠٢٤هـ.
٣- على بن غانم المقدسي(٣)المعروف بابن غانم الخزرجي، المتوفى سنة١٠٠٤هـ.
٤- إبراهيم العلقمي(٤)، المتوفى ٩٩٤هـ، وقرأ عليه كتاب"الشفا" وأجازه به وبغيره.
٥- أحمد العلقمي(٥)أخذ عنه الأدب والشعر.
٦- محمد صالح الشامي(٦)المتوفى سنة ١٠١٢هـ، وأخذ عنه الأدب والشعر أيضا.
٧- أحمد العناياتي(٧)المتوفى سنة ١٠١٤هـ، وأخذ عنه الأدب والشعر.
٨- سعد الملة والدين بن حسن(٨)القسطنطيني المولد والنشأة والوفاة، ولد بالروم، واشتغل بالتدريس، ثم اختاره السلطان مراد معلما لنفسه، توفى سنة ١٠٠٨هـ.

---

(١) ينظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:١/٣٠٠.
(٢) ينظر خلاصة الأثر:٣/١٩٥.
(٣) ينظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:٢/٥٢.
(٤) ينظر السابق:٢/٧٧.
(٥) ينظر السابق:٢/٧٩.
(٦) ينظر السابق:١/٢٧.
(٧) ينظر السابق:١/١٧.
(٨) ينظرريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:٢/٢٧٣.

٩- الحبرداود([1]):وقدأخذ عنه الشهاب الرياضيات، وقرأ عليه إقليدس وغيره.

تلاميذه:

منهم:

- عبدالقادرالبغدادي([2]): صاحب"خزانةالأدب"، المتوفى سنة١٠٩٣هـ، قرأ على الشهاب كثيرا من كتب التفسير والحديث والآداب، وأجازه بذلك وبمؤلفاته.
- أحمد بن يحيى بن عمرالحموي([3]):المعروف بالعسكري الشافعي/ مفتى الشافعية بحماة، المتوفى سنة١٠٩٤هـ.
- فضل الله بن محب الله بن محمدالمحبي([4])المتوفى سنة ١٠٨٢هـ ، الذى كتب عن الشهاب أصل"الريحانة" الذى سماه:"خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا" وهو والد محمد الأمين المحبى، صاحب "خلاصة الأثر".

آثاره:

أولاً:مؤلفاته المطبوعة:

١- أمالى الشهاب الخفاجى.
٢- ديوان الأدب.
٣- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا.
٤- شرح درة الغواص فى أوهام الخواص.
٥- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل والنادرالوحشي القليل.
٦- طراز المجالس.
٧- عناية القاضى وكفايةالراضى، وهوحاشيته على تفسير البيضاوي "موضوع البحث".

---

(١) ينظر السابق:٢/٣٠٠.
(٢) ينظر خلاصة الأثر:٢/٤٥١.
(٣) ينظر خلاصة الأثر:١/٣٦٧.
(٤)ينظر السابق:٢/٢٧٧.

٨- قلائد النحور فى جواهر البحور.

٩- نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض.

ثانياً: مؤلفاته غير المطبوعة:

١- إعراب قوله تعالى" ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ.."(١)

٢- بيان ما أشكل على بعض الطلاب فى آيتين من أول سورة الأنعام.

٣- تفسير قوله تعالى" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ..." (٢)

٤- حاشية شرح الفرائض.

٥- حواشى الرضي والجامي.

٦- حديقة السِحْرِ.

٧- حواشى التهذيب.

٨- خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا.

٩- ديوانه.

١٠- الرحلة.

١١- حواشى التهذيب.

١٢- الرسائل الأربعون.

١٣- رسائل ومكاتيب لم يجمعها.

١٤- رسالة تكلم فيها عن المشاكلة والاستعارة.

١٥- رسالة فى اتصال الضمير بغير عامله.

١٦- رسالة فى معنى التشخيص.

١٧- رسالة فى قوله تعالى"أَرَأَيْتَكُمْ..."(٣)

١٨- رسالة فى قوله تعالى"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"(٤)، والمعوذتين، والكلام على لفظ "قل".

---

(١) سورة الأنعام من الآية:٢.

(٢) سورة الأحزاب من الآية:٧٢.

(٣) سورة الأنعام من الآية:٤٠.

(٤) سورة الإخلاص:١.

١٩- رسالة فى"ما" الواقعة فى قوله تعالى"وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...."(١)

٢٠- رسالة فى متعلق البسملة.

٢١- رسالة فى الموصول.

٢٢- الرسالة الليثية.

٢٣- الروض النضير فى شرح شواهد التفسير.

٢٤- السوانح.

٢٥- قصائد.

٢٦- قصيدة غزلية فى مدح شيخ الإسلام البكري.

٢٧- الكشف على الكشاف.

٢٨- مقامة.

٢٩- النفحة القدسية فى بيان حقيقة الصلاة على خير البرية.

٣٠- رسالة على البيضاوي فى تفسيرقوله تعالى" وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ.."(٢)

وفاته:

كانت وفاته – رحمه الله تعالى – يوم الثلاثاء لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان ١٠٦٩هـ، ١٦٥٩م، وكان قد أناف على السبعين،وقد كان قد توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمد الشوبري الملقب بالشافعي الصغير، فقال فيهما أحمد بن محمد الحموي المصري يرثيهما وكان قد قرأ عليهما:(٣)

مضى الإمامان فى فقه وفى أدب* الشوبري والخفاجي زينة العرب وكنت أبكى لفقد الأدب منفردا * فصرت أبكى لفقد الفقه والأدب

****

---

(١) سورة آل عمران من الآية:٨١.

(٢) سورة آل عمران من الآية:١٥٧.

(٣) خلاصة الأثر:١/٣٤٣.

مبحث

من المعانى البلاغية للتنكير فى حاشية الشهاب الخفاجي التعظيم

من المعانى البلاغية للتنكيرفى حاشية الشهاب التعظيم وكان له أحوال ثلاثة إذ ورد مستقلا دون تعلق معنى آخربه ، وورد مصحوبا بمعنى آخر، وُردَّدُ بينه وبين معنى آخر.

أولاً:التنكيرالمفيد للتعظيم مستقلا بنفسه:

ما جاء فى قوله تعالى"أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"(١). حيث قال البيضاوي- رحمه الله- "ونكرهدى للتعظيم، فكأنه أريد به ضرب لايبالغ كنهه ولا يقادرقدره ونظيره قول الهذلي:(٢) فلا وأبى الطيرالمَرُبَّةَ بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم وأكد تعظيمه بأن الله -تعالى-مانحه والموفق له"(٣). وقال الشهاب- رحمه الله- معلقا على قول

---

(١) سورة البقرة:٥.

(٢) وقداستشهد البيضاوي بهذا البيت على إفادة الإبهام الناجم من تنكير كلمة "لحم" لمعنى التعظيم، ويوضح محيي الدين شيخ زادة- رحمه الله- ذلك بقوله"قوله ونظيره" أي فى كون التنكير للتعظيم قول الهذلي خويلد بن مرة يرثى خالد بن زهير، وكان رجلا عظيم القدرقد قُتِل وأقامت الطيرعليه ولزمته تأكله ، فاستعظم الشاعر لحمه حيث نكره، وبسبب تعظيم اللحم استعظم الطير الواقعة عليه، ثم ما اكتفى بتعظيم الطير ، بل استعظم آباء الطير حيث أقسم بها، وليس لأبيها شرف يستحق لأن يقسم به سوى كونه أبا لها، فتعظيم أبيها راجع إلى تعظيم نفس الطير، وتعظيم نفس الطير راجع إلى تعظيم اللحم ، وتعظيم اللحم راجع إلى تعظيم خالد"حاشية محيي الدين شيخ زادةمحمدمحيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوى على تفسير البيضاوي:١/١٠٣- مطبعة مكتبة الحقيقة – تركيا – استانبول- ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق/ محمد صبحى حسن حلاق، ود/ محمود أحمد الأطرش:١/٣٨- دار الرشيد – دمشق(حررها الله من الطغاة)- بيروت – ط أولى ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

البيضاوي"قوله ونكر هدى الخ" إنما أفاد التنكير التعظيم لما فيه من الإبهام الذى يفيده نحو"الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ"(١)؛لأنه فى معنى هدى أي هدى، أى هدى عظيم لعظمته لا نعرف حقيقته ومقداره، وإليه أشار المصنف بقوله خيروفى نسخة ضرب ، أى نوع منه وهو الصحيح الموافق لما فى الكشاف"(٢).فقد جعل الشهاب التعظيم المستفاد من التنكير هنا نابعا من الإبهام فى كلمة"هدى"، وعلل ذلك بقوله"لأنه فى معنى هدى أي هدى، أى هدى عظيم ....الخ" كما استشهد لما ذهب إليه بقوله تعالى" الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ"(٣)، وقول الشهاب"وهو الصحيح الموافق لما فى الكشاف" إنما يشيربه إلى قول الزمخشري"ونكرهدى ليفيد ضربا مبهما لايبلغ كنهه ، ولا يقادر قدره، كأنه قيل على أي هدى"(٤) وما قال به الشهاب من معنى التعظيم للتنكيرهنا قال به العلماء(٥). ومما ذكره الشهاب لإفادة التنكيرمعنى التعظيم ماورد فى قوله تعالى" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا"(٦) حيث قال البيضاوي:"سيدخلون نارا وأي نار! "(٧)

وقال الشهاب:"وقوله:وأي نار! لتعظيم مستفاد من التنكير"(٨). ومما يلحظ هنا أن الشهاب نص على معنى التعظيم نصا، وإن لم ينص على ذلك البيضاوي، إلا أنه مستفاد من

---

(١) سورة الحاقة:٢، ١.

(٢) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي:٢٤٩/١- دار صادر – بيروت – د.ت.

(٣) سورة الحاقة:٢، ١.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل:١/ ٤٥ – دار الكتاب العربي – بيروت- ١٤٠٧هـ .

(٥) ينظر الكشاف :١/ ٤٥، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: ٢ /٣٢ – دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، وحاشية شيخ زادة:١٠٤/١، ١٠٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسير أبى السعود: ٣٣/١ – دار إحياء التراث العربي- بيروت – د.ت.

(٦) سورة النساء:١٠.

(٧) تفسير البيضاوي:٣٣٦/١.

(٨) حاشية الشهاب:١٠٩/٣.

ذكره النار منكرة "وأي نار!"هذا وهناك من العلماء من نص على معنى التعظيم كالشهاب(١)، ومنهم من ألمح إليه تلميحا من قبيل" نار من النيران مبهمة الوصف"(٢). ومن التعظيم قوله سبحانه"وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ"(٣). قال البيضاوي"قرأابن كثيرونافع وحفص عن عاصم" إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا"على الإخبار، وإيجاب الأجركأنهم قالوا لابد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم"(٤) قال الشهاب" وقوله:والتنكير للتعظيم مثل له فى الكشاف بأن له لإبلا، فقال النحرير:مثل لتنكيرالتعظيم بتنكيرالتكثيرللقرب بينهما"(٥) وقداعتمد الشهاب هنا فى إبرازمعنى التعظيم النابع من تنكير"أجر"على القراءة التى أوردها البيضاوي، كما اعتمد فى توضيح ذلك المعنى على الزمخشري إذ قال فى الكشاف"والتنكير للتعظيم، كقول العرب:إن له لإبلا، وإن له لغنما، يقصدون الكثرة"(٦) وقد شرح الشهاب قول الزمخشري" يقصدون الكثرة" بقوله" مثل لتنكيرالتعظيم بتنكيرالتكثيرللقرب بينهما"(٧). هذا وقد أضاف الطاهربن عاشورملمحا للتعظيم يتآزرمع التنكير، حيث قال: " وتنكير"لأجرا" تنكيرتعظيم بقرينة مقام الملك وعظم العمل"(٨). ومما ذكره الشهاب من

---

(١) ينظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق/عبد الرازق غالب المهدي: ٣٦/١ – دار الكتب العلمية – بيروت –١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، وحاشية شيخ زادة :١٢٩/٢ .

(٢) ينظر الكشاف: ٤٧٩/١، ومفاتيح الغيب:١٦٤/٩ ، وإرشاد العقل السليم:١٤٨/٢، وروح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق : على عبد البارى عطية:٢١٦/٤– دار الكتب العلمية ــ بيروت – ط ١٤١٥ هـ.

(٣) سورة الأعراف:١١٣.

(٤) تفسير البيضاوي:٥٦٣/١.

(٥) حاشية الشهاب:٢٠٣/٤.

(٦) الكشاف:١٣٩/٢.

(٧) حاشية الشهاب:٢٠٣/٤.

(٨) التحريروالتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي:٤٦/٩– الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤ هـ.

التعظيم ما جاء فى قول الحق سبحانه"مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ وِزْرًا"(١) إذ قال البيضاوي:"عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه، سماها وزرا تشبيها فــى ثقلهــاعلى المعاقب، وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل ويــنقض ظهــره. أوإثماعظيمــا"(٢) وعلق الشهاب على قول البيضاوي"أوإثماعظيما" بقوله:"العظــم مــن التنكيــر"(٣) إذ جعــل الشهاب الصفة "عظيما" معنى من معانى التنكير لكلمة"إثما" وإن لم ينص أو يشــرإلى ذلــك البيضاوي. وفى الحاشية قد يبدى الشهاب فى معنى التنكيررأيــا مخالفــا لــبعض العلمــاء كمخالفته الزمخشري فى ذهابه لمعنى التنكير بأنه للتكثير، فيقول الشهاب" والتنكير للتعظــيم أحسن من قول الزمخشري للتكثيركما فى"عَلِمَتْ نَفْسٌ"(٤)وبدا ذلك فيما نقله الشــهاب مــن البيضاوي عند نفسيره قوله تعالى" فِيهَاعَيْنٌ جَارِيَةٌ"(٥) حيث قال البيضاوي"يجرى ماؤها ولا ينقطع ، والتنكير للتعظيم"(٦). وقال الشهاب:"وقوله:"والتنكير للتعظــيم أحســن مــن قــول الزمخشري للتكثير كما فى"عَلِمَتْ نَفْــسٌ"(٧)(٨)، وقــد ذكرالزمخشــري أن المــراد بقولــه تعالى"عَيْنٌ جَارِيَةٌ"(٩)أى:عيونافى غاية الكثرة، كقوله"عَلِمَتْ نَفْسٌ"(١٠)(١١)على اعتبار أنهــا اسم جنس، فيكون المراد جنس العيون. هذا وهناك من العلماء من نحا نحوالزمخشري بأنــه للتكثير(١٢) ومنهم من ذهب إلى معنى التعظيم(١٣) ومنهم من حاول الجمــع بــين التكثيــر

---

(١) سورة طه:١٠٠.
(٢) البيضاوي:٢/٤٠٣.
(٣) الشهاب:٦/٢٢٥.
(٤) سورة التكوير من الآية:١٤.
(٥) سورة الغاشية:١٢.
(٦) البيضاوي:٣/٥٢٨.
(٧) سورة التكوير من الآية:١٤.
(٨) الشهاب:٨/٣٥٤.
(٩) سورة الغاشية من الآية:١٢.
(١٠) سورة التكوير من الآية:١٤.
(١١) الكشاف:٤/٧٤٣
(١٢) ينظرمفاتيح الغيب:٣١/١٤١، وإرشاد العقــل الســليم:٩/١٥٠، وروح المعــانى:٣٠/١١٥، والتحرير والتنوير:٣٠/٣٠١.
(١٣) نظم الدرر:٨/٤٠٨.

والتعظيم(١). وقد يشير الشهاب إلى المعنى البلاغي لتنكير كلمة ما بالإحالة إلى تنكير كلمة أخرى لها المعنى ذاته، وذلك ما علق به على قول البيضاوي عند تفسيرقوله تعالى"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ"(٢) إذ قال البيضاوي:"والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه.....الخ"(٣) فيقول الشهاب موضحا سرالتنكير فى"ضربا"من قول البيضاوي: "فقوله" ضربا من الهدى" مفعول آتاه بمعنى أعطاه، أى نوعا منه وفيه إبهام حسن وتجنيس، والمراد به مطلق الهداية الشاملة لأجزاء الكلمة، والإيمان الظاهرأوالجبلي، أوالذى تمكنوا منه وهذا من الإضاءة ؛ ولذا نكر"ضربا" إشارة إلى تنكير"نارا" فى الآية"(٤) فالمعنى أنه نوع عظيم من أنواع الهدى، وكانت الإشارة إلى أنه نوع عظيم، حيث أحال الشهاب معنى التنكير فى ضربا على معنى التنكيرلكلمة"نارا"فى الآية،وتنكير نار" للتعظيم"(٥) هذا وفى قول الشهاب"وتجنيس"يريد به الجناس التام المماثل بين قوله "ضربه ، وضربا" فالأولى من ضرب المثل، والثانية يراد بها نوعا من الأنواع.

ومماأفاده التنكيرلمعنى التعظيم فى حاشية الشهاب ما جاء فى قوله تعالى" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"(٦)إذ يقول البيضاوي:"وفى تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعاربأن كل قلب لايتفكرولايتدبركلا قلب"(٧) قال الشهاب:"قوله:"تفخيم"لأن التنكير يكون للتعظيم؛ولذا أشعر بما ذكره لأنه إنما يتذكر القلب العظيم"(٨) وظاهرأن

---

(١) ينظر تفسير المحررالوجيزفي تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد:٥/٤٧٤- دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

(٢) سورة البقرة:١٧.

(٣) ينظر البيضاوي:١/٥٤.

(٤) الشهاب:١/٣٧٨.

(٥) الكشاف:١/٧٥ ، وينظر إرشاد العقل السليم:١/٥٠.

(٦) سورة ق:٣٧.

(٧) البيضاوي:٣/٣١٨.

(٨) الشهاب:٨/٩٣.

البيضاوي لم ينص على معنى التعظيم نصاإلا أن الشهاب استنبطه من كلمة التفخيم التى أوردها البيضاوي، وقد علل لاستنباطه بما علل له، وقد قال بالتعظيم بعض العلماء.(١) ومن التعظيم ماورد فى قوله تعالى" كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا"(٢) قال البيضاوي مفسرا كلمة"ذكرا":"كتابا مشتملاعلى هذه الأقاصيص والأخبارحقيقا بالتفكروالاعتبار، والتنكير فيه للتعظيم"(٣) ويعلق الشهاب على معنى التعظيم فيقول:"ووصفه بالعظمة لدلالة قوله"من لدنا"، وتقديمه، ونون العظمة، والتنكيرعليه(٤)وغني عن البيان أن الشهاب قدأبدى وأعاد فى معنى التعظيم لتنكير " ذكرا" وأضاف مالم يقله البيضاوي، حيث أشارإلى عدة أساليب أخرى تآزرت جميعها فى خلق وإيجاد معنى التعظيم، كدلالة قوله تعالى"من لدنا"وفى ذلك مافيه من العظمة، وتقديم الجاروالمجرور "من لدنا"، ونون العظمة فى"لدنا" ثم ختم بالتنكير، وتلك الأمورقاطبة تمكن البحث من القول بأن الشهاب الخفاجي – رحمه الله – فى حاشيته على تفسير البيضاوي لم يكن مجرد ناقل، بل يعلق ويستنبط، ويرجح معنى بلاغيا على آخر(٥) وقد يضيف كما فى هذا الموضع. هذا وقد أشارالزمخشري إلى معنى التعظيم ولكن دون تطرق إلى مافيه من تنكير(٦)، وكذلك البقاعي وقد أورد كلاما أحسبه جديرا بإيراده هنا إذ قال:"ذكرا"عظيما جليلاً جامعاً لما أظهرناه من أمرنا في التوراة ، ومأأبطنّاه من سرنا في الإنجيل، وما أودعناه من سكينتنا في الزبور، مع ما خصصناه به من لطائف المزايا ، وعظائم الأسرار، يعرف بمجرد تلاوته أنه من عندنا لما يُشهد له من الروح ، ويُذاق له من الإخبات والسكون، ويرى له من الجلالة في الصدورمع القطع بأن أحداً لا يقدرأن يعارضه، وضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك من المواعظ والأحكام ودقائق إشارات الحقائق، متكفلاً بسعادة الدارين وحسنى الحسنيين، فمن أقبل عليه

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب فى أحد قولين للرازي:١٥٧/٢٨، ونظم الدرر:٢٦٤/٧، والتحرير والتنوير:٣٢٤/٢٦.

(٢) سورة طه:٩٩.

(٣) البيضاوي:٤٠٣/٢.

(٤) الشهاب:٢٢٤/٦.

(٥) ينظرص: ١٥، ١٨، ٢٢، ٢٦، ٤٥من البحث، على سبيل المثال لا الحصر.

(٦) الكشاف:٣٩١/٤.

كان مذكراً له بكل ما يريد من العلوم النافعة(١). وقدذهب كل من أبى السعود والآلوسي(٢) فى تنكير"ذكرا"إلى معنى التفخيم. ومن التعظيم ماورد فى قوله سبحانه" يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(٣) حيث قال البيضاوي مفسرا كلمة"صراط":"وهوالتوحيد والاستقامة فى الأمور، ويجوز أن يكون"على صراط"خبرا ثانيا، أو حالامن المستكن فى الجار والمجرور، وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة، وإن دل عليه"لمن المرسلين" التزاما"(٤). وهنا يرد الشهاب ماذهب إليه البيضاوي فيقول:"نعم تخصيصه بكونه خبرا لأنه محط الفائدة له وجه لكنه فصل بين العصا ولحائها، وذكرفى الكشاف وجها آخر تتم به الفائدة والدلالة على ما يدل عليه ماقبله بجعل التنكير للتعظيم، حيث قال" وأيضا فإن التنكيرفيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لايكتنه وصفه، يعنى أنه هاد ومرشدإلى أكمل الشرائع وأتمها أصولا وفروعا – كماأشار إليه شراحه – وهذا شيئ لم يعلم مما قبله ، فمن زعم أنه من نتائج أفكاره فقد جلب التمر إلى هجر"(٥) يتضح مما سبق أن البيضاوي لم يشر إلى التنكير لفظا فى قوله تعالى "صراط"، وإنما أومأ إليه إيضاحا فى قوله"وفائدته وصف الشرع.....الخ". إلا أن الشهاب يرد قول البيضاوي ويجعل التنكيرفى "صراط" للتعظيم، وقد نص على ذلك نصا حيث قوله" التنكير للتعظيم" ثم يستدل بقول الزمحشري السابق ذكره فى ثنايا كلامه فى الحاشية بل يقرللزمخشري بأنه سابق فى الوصول إلى معنى التعظيم هذا، وأن من يقول غير ذلك فهو يبغى حصول أمر مستبعد ومستحيل على حد قوله" فقد جلب التمر إلى هجر"(٦)، وقول الشهاب " كما أشار إليه شراحه ، يقصد شراح الكشاف، ويعنى هنا العلامة أحمد بن محمد المعروف بابن المنيِّر، إذ أورد فى حاشيته على الكشاف قوله:"قد تقدم فى مواضع أن التنكير

---

(١) نظم الدرر:٥/٤٤.

(٢) ينظرإرشاد العقل السليم:٦/٤٠، وروح المعاني:١٦/٢٥٩.

(٣) سورة يس:١-٤.

(٤) البيضاوي:٣/١٢٧.

(٥)الشهاب:٧/٢٣٢.

(٦) المثل هو "كمستبضع التمر إلى هجر" ويضرب للرجل يُعَلِّم من هو أعلم منه.الأمثال لأبى الخير زيد بن عبد الله بن رفاعة الهاشمي:٢٠٧ – دمشق – دار سعد الدين – ط ١٤٢٣هـ.

قد يفيد تفخيما وتعظيما وهذا منه"(١)هذا ومن العلماء من ذهب إلى أن التعظيم فـى "صـراط" ناشئ من التنوين والقسم والتأكيد، علاوة على التنكير(٢). ومن إفادة التنكيرلمعنى التعظيم فـى حاشية الشهاب، وفيه تبدوشخصية الشهاب العلمية، إذ ينتقد أسلوب شيخه ويصفه بـأن فيـه ركاكة، وأن الأحسن أن يقال كذا، وذلك ماجاء فى قوله تعالى"فِي مَقْعَدِ صِـدْقٍ عِنْـدَ مَلِيـكٍ مُقْتَدِرٍ"(٣) حيث قال البيضاوي:"مقربين عند من تعالى أمره فى الملك، والاقتـداربحيث أبهمـه ذووالأفهام"(٤) فقال الشهاب:"وقوله"بحيث أبهمه ذووالأفهام" بفتح الهمـزة ويجـوز كسـرها، وهذه العبارة لاتخلومن ركاكة وقلاقة، ولو قال على ذوى الأفهام كان أحسن، لكن المراد منهـا معلوم كما يفهم من كلام الكشاف، والمراد أنه أبهم العندية والقـرب، ونكـر مليكـا ومقتـدرا للإشارة إلى أن ملكه وقدرته لا تدرى الأفهام كنهها، وأن قربهم منـه بمنزلـة مـن السـعادة والكرامة بحيث لاعين رأت ولاأذن سمعت مما يجل عن البيان وتكل دونـه الأذهـان"(٥)ومـن الوضوح بمكان أن مراد الشهاب من التنكيرهنا هومعنى التعظيم. وإن لم ينص الشهاب علـى التعظيم فى حاشيته فقد نص عليه محيي الدين شيخ زادة، حيث قال: والتنكيرفيـه – أى فـى مليك – وفى قوله مقتدرللتعظيم"(٦)وهناك من العلماء من قالوا بذلك المعنى.(٧)

ومن التعظيم المفاد من التنكير فى حاشية الشهاب ماجاء فى قوله تعالى" اللَّـهُ الَّـذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"(٨) يقول البيضاوي فى تفسيرقوله تعالى"إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّـاسِ" لايوازيـه فضل، وللإشعار به لم يقل لَمُفَضِّلٌ"(٩) ويعلق الشهاب على ذلك قائلا:"قوله" لايوازيه فضـل"

---

(١) حاشية ابن المنير على الكشاف:١/٣٤٤.

(٢) ينظر نظم الدرر:٦/٢٤٤، وروح المعانى:٢٢/٢١٢، والتحرير والتنوير:٢٢/٣٤٦.

(٣) سورة القمر:٥٥.

(٤) البيضاوي:٣/٣٥٠.

(٥) الشهاب:٨/١٢٩.

(٦) حاشيته:٤/٣٣٠بتصرف قليل.

(٧) روح المعانى: ١٤/٩٥، والتحريروالتنوير:٢٧/٢١٣.

(٨) سورة غافر:٦١.

(٩) البيضاوي:٣/٢١٤.

بالياء التحتية أى لايقابله ولايقاومه، أو بالنون يعنى أن التنوين والتنكر للتعظيم ، والمقصود هنا تعظيم فضله وإنعامه بذكره بعد ماعدد منه؛ ولذا لم يقل لمفضل؛ لأنه يدل على تعظيم ذاته صراحة دون فضله، وليس هذا بمقصود هنا مع أن اسم الله يكفى فيه ، ففى قوله"للإشعاربه" مضاف مقدرأى لقصد الإشعاربه"(١) فعلى احتمال أن يكون قول البيضاوي" لايوازيه فضل" بالنون وليس بالياء، فيكون الكلام "لانوازيه فضل" ، فعلى ذلك جعل الشهاب التنوين والتنكير فى فضل مفيدين للتعظيم، ويوضح أن المراد هنا هو تعظيم فضله لاتعظيم ذاته، إذ لوكان المراد تعظيم ذاته لقال" لمفضَّل"، أو"متفضل" إلا أن الشهاب أشارإلى أن فى قول البيضاوي"للإشعار به" حذف للمضاف تقديره"قصد الإشعاربه" وهذا ما يتناغى ومعنى التعظيم للتنكيرفى الآية، وما أورده الشهاب قال به العلماء.(٢) وقد يذكر الشهاب معنى التعظيم للتنكير بالإشارة إلى ماأفاده من ضد معناه – أى التحقير– فى آية أخرى، ففى قوله تعالى" وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"(٣) يقول البيضاوي:"أى: وعمدنا إلى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره"(٤) ويقول الشهاب:"قيل صحة البيان فيه باعتبار التنكير كصحة الاستثناء فى"إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا"(٥)إلا أن التنكيرهناك للتحقير، أى إلا ظنا حقيرا لايعبأ به ، وهنا للتعظيم، وإليه أشارالمصنف – رحمه الله –بقوله"من المكارم كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف أى المظلوم....ولو قيل إنه للتعميم ودفع ما يتوهم من العهد فى الموصول، أى كل عمل عملوه غيرمعتد به لكان وجها"(٦) فقد رأى الشهاب أن التنكيرفى"عمل"أفاد التعظيم مقارنا فى ذلك بينه وبين معنى التحقيرللتنكيرفى آية الجاثية"إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا" حيث قال"إلا أن التنكيرهناك للتحقير، أى إلا ظنا حقيرا" وكأن ماذهب

---

(١) الشهاب:٣٨٠/٧.

(٢) ينظر الكشاف: ١٧٦/٤ ، ونظم الدرر:٥٣٠/٦ ، وإرشاد العقل السليم:١٥٧/٤، وروح المعانى: ٨٢/٢٤ ، والتحرير والتنوير:١٨٦/٢٤.

(٣) سورة الفرقان:٢٣.

(٤) البيضاوي:٥١٩/٢.

(٥) سورة الجاثية من الآية:٣٢.

(٦) الشهاب:٤١٨/٦.

إليه الشهاب هومن باب وبضدها تتميزالأشياء. وقد اتكأ فى القول بالتعظيم فى"عمل"على ماأورده البيضاوي من تفسيره للكلمة ذاتها، إذ فسرها بالمكارم كقرى الضيف وصلة الرحم...الخ. هذاوقد رأى الشهاب فى أن التنكيرفى"عمل" لوقيل أنه للتعميم، بمعنى أن كل عمل هؤلاء لايؤبه له ولا يعتد به، لكان وجهامن القول يعتد به. وبذا يرى الشهاب التنكيرهنا محتملا للتعظيم والتعميم. وقد ألمح الزمخشري إلى معنى التعظيم إلماحا دون تطرق إلى ما فى الكلمة من تنكير.(١)ورأى الطاهر بن عاشورأن التنكير فى الآية للنوعية.(٢) ومن التعظيم ما ورد فى قول الحق سبحانه"يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ"(٣) قال البيضاوي"وتنكيرالمبشربه إشعاربأنه وراءالتعيين والتعريف"(٤) قال الشهاب:"وقوله:وراء التعيين والتعريف يعنى أنه للتعظيم، ووجه دلالة التنكيرعلى التعظيم ماذكره، ولايخفى حسن تعبيره بأنه وراء ذلك"(٥) فقداستنبط معنى التعظيم من خلال قول البيضاوي السابق، وإن لم ينص على ذلك، ولكنه بالفحوى، ثم يجمل الشهاب ذلك بقوله"ووجه دلالة التنكيرعلى التعظيم ماذكره"على طريق إيجازالقصر، ولا يقف الشهاب عند ذلك الحد ، بل ينبرى للإشادة بتعبير البيضاوي"وراء" فيقول"ولايخفى حسن تعبيره بأنه وراء ذلك"وماذكره الشهاب أشار إليه العلماء.(٦) هذاوقد وزاد الطاهربن عاشوربأن أوردعدة قرائن على معنى التعظيم حيث قال: "والتنكير فى "برحمة" و"رضوان" وجنات" و"ونعيم" للتعظيم بقرينة المقام، وقرينة قوله"منه"، وقرينة كون تلك مبشرا بها"(٧). ومما أفاده التنكير لمعنى التعظيم ماجاء فى قوله تعالى"وَمَنْ تَابَ

---

(١) ينظر الكشاف:٣/٢٧٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير:١٩/٨

(٣) سورة التوبة:٢١.

(٤) البيضاوي:٢/٤٤.

(٥) الشهاب:٤/٣١٢.

(٦) ينظر الكشاف:٢/٢٥٦ ، والبحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق/ صدقي محمد جميل:٥/٣٩٠
دار الفكر – بيروت – ١٤٢٠هـ، ونظم الدرر:٣/٢٩٢، ٢٩١.

(٧) التحرير والتنوير:١٠/١٥٠.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا"(١)

يقول البيضاوي:"مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب، أو يتوب متابا إلى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم، أوفإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا"(٢) ويقول الشهاب:"قوله:مرضيا..الخ" مستفاد من تعظيم التنكير"(٣) بمعنى أن ماأفاده التعظيم من جراء اصطفاء التنكير فى"متابا"كشف عن تعدد تلك المعانى التى أوردها البيضاوي. وقد أشارإلى معنى التعظيم دون تصريح أو تلميح إلى التنكير بعض العلماء(٤) وقد يشير الشهاب إلى أن التنكيرلكلمة ما فى مواطن من القرآن الكريم قد يكون متوقفا على تنكير كلمة أخرى ، وذلك مثلما ورد فى قول الحق سبحانه"وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبْ لَنَامِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"(٥) إذ يقول البيضاوي:" وتنكيرالأعين لإرادة تنكير القرة تعظيما"(٦) وقال الشهاب معلقا على قول البيضاوي:"وقوله:"وتنكيرالأعين..الخ" يعنى أعين القائلين معينة، ونكرت لقصد تنكير المضاف للتعظيم، وهولايكون بدون تنكير المضاف إليه"(٧)فقد أشار الشهاب إلى تنكير"قرة"وهو المضاف، وغرضه التعظيم، كما أشار إلى أن تنكير هذا المضاف متوقف على تنكيرالمضاف إليه"أعين". ومما ذكره الشهاب من التعظيم ما جاء فى قوله تعالى" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"(٨) يقول البيضاوي:"أى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح، والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدورمن الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى إلى الخلق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم

---

(١) سورة الفرقان:٧١.

(٢) البيضاوي:٥٣١/٢.

(٣) الشهاب:٤٣٨/٦.

(٤) ينظرإرشاد العقل السليم:٢٣٠/٦، وروح المعانى:٥٠/١٠.

(٥) سورة الفرقان:٧٤.

(٦) البيضاوي:٥٣٢/٢.

(٧) الشهاب:٤٣٨/٦.

(٨) سورة يونس:٥٧.

من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان، والتنكير فيها للتعظيم"(١) وقال الشهاب:"وقوله: والتنكير فيها، أى فى هذه المذكورات لا فى رحمة فقط"(٢) وأحسب أن الشهاب فى تعليقه على قول البيضاوي السابق ، أحسبه يتوهم أنه قد يظن ظان أو يتوهم متوهم أن التنكير فى الآية قد يقصد به كلمة"رحمة" فقط ، فماكان من الشهاب إلا إزالة مثل هذا الظن أو ذلك التوهم، فقد قررأن التعظيم المفاد من التنكيرإنما هوللكلمات المنكرة السابقة"مَوْعِظَةٌ، وَشِفَاءٌ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ"، وإن لم ينص عل ذلك صراحة ، بيد أن تعليقه على قول البيضاوي هو بمثابة التأكيد على أن التعظيم ليس لكلمة" رَحْمَةٌ" فحسب، بل للكلمات الأربع سالفة الذكر، وماقرره الشهاب قال به بعض العلماء.(٣) ومن التعظيم للتنكير– وفيه يبدو الشهاب مضيفا على ماقال البيضاوي – ماجاء فى قوله تعالى"هُوَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ"(٤) قال البيضاوي:"وأجل نكرة خصصت بالصفة، ولذلك استغنى عن تقديم الخبر، والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر"(٥) قال الشهاب معلقا على البيضاوي:"معنى كلام المصنف – رحمه الله – أنه قصد هنا التعظيم فقدم للاهتمام بما قصد تعظيمه، ولا ينافى كون التعظيم من التنكير أيضا"(٦) ولما كان كلام البيضاوي قد يوهم أن التعظيم نابع من التقديم فحسب، آثرالشهاب إلى أن يلفت النظر إلى أن التنكيرلم يكن غائبا فى هذا المشهد، بل شارك التقديم فى إبراز معنى التعظيم.

ومن التنكير للتعظيم ماورد فى قوله تعالى" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"(٧) قال البيضاوي فى قوله"وَشَهِدَ شَاهِدٌ..."والشاهد هوعبدالله بن سلام، وقيل موسى –عليه

---

(١) البيضاوي:٢/١٠٦.

(٢) الشهاب:٥/٤٠.

(٣) ينظرإرشاد العقل السليم: ٤/١٥٥، وروح المعانى:٦/١٣٢.

(٤) سورة الأنعام:٢.

(٥) البيضاوي:١/٤٧٨.

(٦) الشهاب:٤/١٤.

(٧) سورة الأحقاف:١٠.

الصلاة والسلام – وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم"(١) وعلق الشهاب قائلا"والشاهد هوعبدالله بن سلام بتخفيف اللام الصحابي المشهور....والتنكير للتعظيم"(٢) وهناك من العلماء من قال بهذا المعنى.(٣) وحيث إن التفخيم يكاد يكون مرادفا للتعظيم فيمكن القول بأنه مما أفاده التنكير فى حاشية الشهاب التفخيم ، وذلك كماورد فى قول الحق سبحانه"الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ"(٤) يقول البيضاوي:"والكتاب هو السورة، وكذاالقرآن، وتنكيره للتفخيم، أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا"(٥) قال الشهاب:"وقوله:وتنكيره للتفخيم، كما أن تعريف الكتاب لذلك، كما أشار إليه بقوله" كتابا كاملا وبيانا غريبا"(٦) وما ذكره الشهاب من معنى التفخيم لتنكير"قرآن" قال به العلماء، إلا أن محيي الدين شيخ زادة ألمح إلى أن فى الآية نوعين من التفخيم فحاول الجمع بين معنى التعريف فى "الكتاب" ومعنى التنكير فى "قرآن" فقال: "وتنكير" قرآن"للتفخيم فيرجع إلى المعنى إلى أنه قرآن جامع لفخامة الشأن وغرابة البيان، ولما كان فى التعريف نوع من الفخامة، وفى التنكيرنوع آخركان الغرض الجمع بينهماعرف الكتاب ونكر القرآن"(٧) ومنه قوله تعالى"يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"(٨) قال البيضاوي مفسرا لقوله تعالى"يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ" :"ظرف لمحيطة أو مقدرة مثل كان كيت وكيت"(٩) وقال الشهاب:"وقوله"كان كيت وكيت الإبهام للتفخيم، أى حدث أمر عظيم من قهرهم وإهلاكهم، وغيرذلك مما يشفى صدور قوم مؤمنين"(١٠)

---

(١) البيضاوي:٣/٢٧٦.
(٢) ينظر الشهاب:٨/٢٩.
(٣) ينظرإرشاد العقل السليم:٨/٨٠ ، وروح المعانى:١٣/١٦٩.
(٤) سورة الحجر:١.
(٥) البيضاوي:٢/٢٣٣.
(٦) الشهاب:٥/٢٨١.
(٧) ينظر حاشيته:٣/١٤٤.
(٨) سورة العنكبوت:٥٥، ٥٤.
(٩) البيضاوي:٣/٤١.
(١٠) الشهاب:٧/١٠٧.

وأحيل إلى مواضع أخرى للتنكيرأفاد فيها معنى التعظيم فحسب(١)

*****

ثانياً: التنكيرالمفيد للتعظيم مصحوبا بمعنى آخر: ومما ذكره الشهاب فى حاشيته للتنكير المفيد للتعظيم والتنويع ماجاء فى قول الحق سبحانه"وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ"(٢) حيث قال البيضاوي:"وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا"أى نوعا من المطرعجيبا"(٣) وعلق الشهاب قائلا:"قوله:أى نوعا من المطرعجيبا"أى التنكير للتعظيم والنوعية فلا منافاة بينهما"(٤) فيلحظ أن الشهاب أخذ معنى النوعية من كلمة"نوعا"، ومعنى التعظيم من"عجبا"، ثم يقررأنه لا تعارض ولا تنافى بين المعنيين، وأحسب أن الشهاب لم يسبقه أحد فيما ذهب إليه. وقد يصحب التعظيم المبالغة كما ورد فى قوله تعالى" إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌعَظِيمٌ"(٥) قال البيضاوي:"وَأَجْرٌعَظِيمٌ" لغضهم وسائر طاعاتهم، والتنكير للتعظيم"(٦) قال الشهاب:"وقوله:" والتنكيرالخ، يعنى تنكيرماوقع جزاء لهم، وهومغفرة وأجر، ففى قوله"عظيم" مبالغة فى عظمه فإنه مالاعين رأت، ولا أذن سمعت"(٧) هذا وقد وافق الآلوسي الشهاب فيماأشارإليه(٨). وقد يصحب التعظيم التكثير- وقد قال سعد الدين التفتازاني "فالتعظيم والتكثيرقد

---

(١) ينظرالبيضاوي:٤٣٨/٢والشهاب:٢٨١/٦، والبيضاوي:٣٢٨/٣والشهاب:١٠٢/٨، والبيضاوي:٣٣٠/٣ والشهاب:١٠٤/٨والبيضاوي:٥٤٦/٣والشهاب:٣٧٥/٨.

(٢) سورة الأعراف:٨٤.

(٣) البيضاوي:٢٧٦/٣.

(٤) ينظرالشهاب:٢٩/٨.

(٥) سورة الحجرات:٣.

(٦) البيضاوي:٣٠٤/٣.

(٧) الشهاب:٧٣/٨.

(٨) ينظر روح المعانى:١٣٨/٢٦.

يجتمعان" – (١) وذلك كما جاء فى قوله عزوجل" فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"(٢) قال البيضاوي:"وَنَسُوا حَظًّا" وتركوا نصيبا وافيا"(٣) وقال الشهاب:"وقوله:نصيبا وافيا يؤخذ من التنوين فإنه يفيد التكثير والتعظيم"(٤)ولم أجد أحدا من العلماء– فيمابدا لى– سوى الطاهربن عاشورالذى ذكر ما أورده الشهاب، إلاأنه لم يجمع بين المعنيين بل ردد بينهما، إذ قال:"والحظ: النصيب، وتنكيره هنا للتعظيم أو التكثير بقرينة الذم"(٥)

ومن التعظيم والتكثيرقوله تعالى"أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا"(٦) إذ قال البيضاوي:"وتنكيرهما للتفخيم، أولأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات"(٧)

ويعلق الشهاب قائلا"وقوله:للتفخيم بجعل التنوين للتعظيم والتكثير"(٨) فيرى البيضاوي أن التنكير للتفخيم أوالتبعيض، بينما خالف الشهاب وذهب إلى التعظيم والتكثير، وهناك من العلماء من قالوا بالتفخيم والتكثير(٩)، ومنهم من ذكر معنى التفخيم فحسب(١٠)، ومنهم من ذهب إلى التكثير فحسب(١١)، ومنهم من جمع بين التفخيم والتكثير وأضاف

---

(١) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د/عبد الحميد هنداوي:٢٣٥– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولى ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.

(٢) سورة المائدة:١٣.

(٣) البيضاوي:٤٢٦/١، ٤٢٥.

(٤) الشهاب:٢٢٥/٣.

(٥) التحرير والتنوير:١٤٤/٦.

(٦) سورة المرسلات:٢٦.

(٧) البيضاوي:٤٨٤/٣.

(٨) الشهاب:٢٩٨/٨.

(٩) ينظر الكشاف:٦٨٠/٤، والتحرير والتنوير:٤٣٣/٢٩.

(١٠) ينظر مفاتيح الغيب: ٣٧٧/٣٠، وحاشية شيخ زادة:٣٠٥/٤.

(١١) ينظر إرشاد العقل السليم:٨٠/٩

التبعيض(١). ومنه أيضا ماورد فى قوله تعالى" وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ"(٢) قال البيضاوي:و"مَوْجٌ كَالظُّلَلِ"كما يُظِلُّ من جبل أو سحاب أو غيرهما"(٣) قال الشهاب:"وقوله"موج" تنكيره تنكيرللتعظيم والتكثير؛ ولذا أفرد مع جمع الظلل"(٤)وهذاالموضع من المواضع القليلة التى لايشير فيها البيضاوي إلى التنكيروغرضه ، بينما ترى الشهاب ينص على التنكيركاشفاعن غرضه ومعللا لماذهب إليه، كما قال هنا"ولذا أفرد مع جمع الظلل".ويبدوأن الشهاب استوحى ما ذهب إليه من التعظيم والتكثيرلتنكير"موج" من تفسير الزمخشري للكلمة حيث قال:" يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل"(٥) ومن العلماء من قال بالتكثير والتعظيم(٦)ومنهم من قال بالتعظيم فحسب(٧). ومنه – كذلك – قوله تعالى"وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ"(٨) إذ قال البيضاوي:"وتنكيررسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة"(٩) قال الشهاب:"وقوله:وتنكير... الخ، وللتكثير أيضا"(١٠) هنا يسلم الشهاب للبيضاوي بمعنى التعظيم ولكنه يضيف إليه معنى التكثير، وهناك من العلماء من ذهب إلى التكثير(١١)، ومنهم من ذهب إلى التعظيم والتفخيم(١٢)، ومنهم من ذهب إلى التفخيم والتكثير(١٣). وقد يصحب التفخيم التهويل كما

---

(١) ينظر روح المعانى:١٧٥/٢٩.
(٢) سورة لقمان:٣٢.
(٣) البيضاوي:٦٨/٣.
(٤) الشهاب:١٤٤/٧.
(٥) الكشاف:٥٠٣/٣.
(٦) ينظر حاشية شيخ زادة:٥٦٣/٣، وروح المعانى:١٠٥/٢١.
(٧) ينظر مفاتيح الغيب:١٣٢/٢٥.
(٨) سورة فاطر:٤.
(٩) البيضاوي:١١٥/٣.
(١٠) ينظر حاشية الشهاب:٢١٦/٧.
(١١) ينظر الكشاف:٥٩٨/٣.
(١٢) ينظر حاشية شيخ زادة:٣/٤ ، والتحرير والتنوير:٢٥٧/٢٢.
(١٣) ينظر إرشاد العقل السليم: ، وروح المعانى:١٦٧/٢٢.

فى قوله تعالى"وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًاوَإِثْمًامُبِينًا"(١) يقول البيضاوي:"فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًاوَإِثْمًامُبِينًا" بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة؛ ولذلك سوى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر"(٢) يعلق الشهاب قائلا:"قوله:بسبب رمى البرئ الخ فى الكشاف لأنه بكسب الإثم آثم ، وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الأمرين... والأسلوب من باب تكرير الشرط والجزاء نحو"من أدرك الصَّمَّان(٣) فقد أدرك المرعى، فينبغى أن يحمل تنكير بهتانا على التفخيم والتهويل"(٤) فالبيضاوي لم يشر إلى هذين المعنيين كما ذكر الشهاب، وقد سبق أبو السعود الشهاب فيما ذهب إليه، إذ نص على ذلك نصا(٥) بينما أوردالآلوسي ماذكره الشهاب.(٦)

ثالثا:ماردد فيه بين التعظيم ومعنى آخر:

ومما ذكره الشهاب فى حاشيته محتملا التعظيم أو التنويع ما جاء فى قوله تعالى"إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ"(٧) حيث قال البيضاوي:"والتنكير للتعظيم"(٨) بينما قال الشهاب:"وقوله: والتنكير يعنى فى"خُسْرٍ" إذ المراد خسر عظيم، ويجوزأن يكون للتنويع، أى نوع من الخسران غير ما يعرفه الإنسان"(٩) هذا وقد وافق الآلوسي الشهاب فيما ذهب إليه(١٠)،

---

(١) سورة النساء:١١٢.

(٢) البيضاوي:١/٣٩٠.

(٣) الصَّمَّان:أرض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخَبَارَى تنبت السدر عَذِيَةٌ ورياض معشبة، وإذا أخصبت الصمان رتعت العرب جميعها.لسان العرب لابن منظور: مادة (صمم) – دار صادر – بيروت– ط أولى د.ت.

(٤) الشهاب :٣/١٧٦، وينظر الكشاف:١/٥٦٤.

(٥) إرشاد العقل السليم:٢/٢١٣.

(٦) ينظر روح المعانى:٥/١٤٣.

(٧) سورة العصر:٢.

(٨) البيضاوي:٣/٥٦٦.

(٩) الشهاب:٨/٣٩٦.

(١٠) ينظر روح المعانى:٣٠/٢٢٨.

ذهب شيخ زادة إلى ماذهب إليه البيضاوي(١). وقد يرد محتملا التعظيم أوالتبعيض كما فى قوله تعالى"وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"(٢) حيث قال البيضاوي:"والتنكير للمبالغة والتعظيم، أو للتبعيض ، فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم"(٣) قال الشهاب:"قوله:"والتنكير للمبالغة والتعظيم" توجيه لتنكيره .... فالتنوين للتعظيم ، وقوله"للتبعيض" توجيه آخر بأن تنوينه للتبعيض كما فى قوله"أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا"(٤) واضح هنا أن الشهاب أورد معنيين للتنكيرالأول:المبالغة والتعظيم والثانى:التبعيض؛ وذلك بناء على التوجيهين اللذين أوردهما البيضاوي، ولم نر الشهاب فى هذا الموضع – كدأبه – يرجح معنى على آخر، أويرده فكان هنا بمثابة ناقل فحسب. هذاوقدأشارالزمخشري إلى المعنيين السابقين للتنكير، وأضاف أن التبعيض حمل على توبيخ هؤلاء لعدولهم عن الصراط.(٥) كما أشار إلى المعنيين – أيضا – محيي الدين شيخ زادة، وأضاف معنى الإفراد.(٦)أماأبو السعود والطاهربن عاشور فقد ذهبا إلى التفخيم والتعظيم فحسب(٧).

ومن وروده محتملا التعظيم أوالتبعيض – أيضا – ماجاء فى قوله تعالى" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ"(٨) قال البيضاوي:"والمراد بها المساجد ؛لأن الصفة تلائمها.وقيل المساجد الثلاثة، والتنكير للتعظيم"(٩) قال الشهاب:"وقوله: والتنكير للتعظيم لتعينها، وعلى الأول هو للتبعيض والتعليل كما أشار إليه المصنف رحمه الله"(١٠) فعلى تعيين المساجد بالمساجد الثلاثة يكون التنكير للتعظيم، وعلى

---

(١) ينظر حاشيته:٥٩٧/٤.

(٢) سورة يس:٦١.

(٣) البيضاوي:١٣٧/٣.

(٤) سورة الإسراء من الآية:١.

(٥) ينظر الكشاف:٦٤٦/٢.

(٦) ينظر حاشيته:٤٢/٤.

(٧) ينظر إرشاد العقل السليم:١٥٤/٥.، والتحرير والتنوير:١١/١٥.

(٨) سورة النور:٣٦.

(٩) البيضاوي:٤٩٩/٢.

(١٠) الشهاب:٣٨٦/٦.

عدم تعينها يكون التنكير للتبعيض، وأحسب أنه لم يقل بمعنى التبعيض أحد سوى الشهاب. هذا وقد رأى شيخ زادة أن تخصيص المساجد بالثلاثة مساجد تخصيص بلا دليل، ولم يعلل لما ذهب إليه.(١) وقد يرد محتملا التعظيم أوالتقليل كما ورد فى قوله تعالى"يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا"(٢) قال البيضاوي:"وذكرالخوف والمس وتنكيرالعذاب إما مجاملة، أو لخفاء العاقبة"(٣) وقال الشهاب:"الحاصل أن هنا مقامين يمكن اعتبار كل منهما مقام التخويف، ومقام إظهار مزيد الشفقة وأدب المعاملة، ومقتضى الأول حمل التنكيرعلى التعظيم والمس على مطلق الإصابة، ومقتضى الثانى خلافه؛ ولذا قال فى المطول مما يحتمل التعظيم أوالتقليل قوله"إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ..الآية"(٤) أى عذاب هائل، أوأى شيئ منه"(٥) فالشهاب هنا يعتمد على المقام فى الوقوف على المعنى البلاغي للتنكير، وخلص إلى وجود مقامين ، وأسندلكل مقام ما يناسبه، وقد اتكأ فيما رمى إليه على كلام سعد الدين التفتازاني فى مطوله.(٦) وقد يرد محتملا التعظيم أوالتحقيركما ورد فى قول الحق سبحانه: "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ"(٧) حيث قال البيضاوي:"أى هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط ، وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة، وتنكيرالخلق الجديد لتعظيم شأنه، والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد"(٨) وقال الشهاب:" وقوله : لما فيه من مخالفة العادة بيان لمنشأ الالتباس وهو قياسهم أحوال المعاد بهذه النشأة التي لم يشاهد فيها أن يعود شيء بعد موته وتفرق أجزائه ؛ ولذا نكر الخلق الجديد لما أضافه إليهم لأنه لاستبعاده عندهم كان أمرا عظيما فالتعظيم ليس راجعا إلى الله، ولا إلى الإيجاد من حيث هو، حتى يعترض بأنه

---

(١) ينظر حاشيته:٣/٤٣١.

(٢) سورة مريم:٤٥.

(٣) البيضاوي:٢/٣٦٩.

(٤) سورة مريم من الآية:٤٥.

(٥) الشهاب:٦/١٦٢.

(٦) ينظر المطول:٢٣٥.

(٧) سورة ق:١٥.

(٨) البيضاوي:٣/٣١٤.

أهون من الخلق الأوّل والمناسب تعريفه، أو جعل تنكيره للتحقير كما بينه المدقق في الكشف، ومن لم يتنبه لما أرادوه هنا قال : الدلالة على التهوين من وصف الخلق بالجديد لما تعورف من أنّ الإعادة أهون من الإبداء إلا أنّ التخويف مقصود أيضاً فلذا دلّ بالتنكير على عظمه فحق السامع أن يخافه ويهتم به فلا يعقد على لبس منه.(١)

وقد يردد بين التعظيم والتخصيص وذلك كما جاء فى قوله تعالى "أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى*عَبْدًا إِذَا صَلَّى"(٢)

حيث يقول البيضاوي:"لفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى، والدلالة على كمال العبودية"(٣)

وقال الشهاب:"كمال العبودية من التنكيرإمالأنه للتعظيم، أو لدلالته على أنه لايعرف بغيرالعبودية"(٤) فتلحظ هنا أن البيضاوي جمع بين معنيين الأول: المبالغة فى تقبيح النهى عن الصلاة، والثانى:الدلالة على كمال عبوديته صلى الله عليه وسلم. بينما ذهب الشهاب إلى أحد معنيين، الأول:التعظيم النابع من كمال العبودية، الثانى: تخصيص النبي – عليه الصلاة والسلام – بتلك الصفة، حتى غدا لا يعرف إلا بها، فهو مع التنكير معرف. وممن قال بالمعنيين معا كثير من العلماء(٥)، إلا أن أباالسعود أضاف معنى ثالثا: وهوتأكيد التعجب من النهى.(٦) وقد يرد التنكير فى حاشية الشهاب محتملا مع التعظيم معنيين آخرين، وذلك كما جاء فى قوله تعالى" قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"(٧) حيث يقول البيضاوي مفسرا قوله تعالى"لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"والقوم هم المؤمنون والكافرون ، أو كلاهما فيكون التنكير للتعظيم

---

(١) الشهاب:٨/٨٦.

(٢) سورة العلق: ١٠، ٩.

(٣) البيضاوي: ٣/٥٥١.

(٤) الشهاب:٨/٣٨٠.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب:٣٢/٢٢٢، ونظم الدرر:٨/٤٨٤، وحاشية محيي الدين شيخ زادة:٤/٥٨٠.

(٦) ينظر إرشاد العقل السليم:٩/١٧٩.

(٧) سورة الجاثية:١٤.

أوالتحقيرأوالشيوع"(١) ويعلق الشهاب على ذلك بقوله"وقوله: فيكون التنكيرالخ لف ونشر فالتعظيم على إرادة المؤمنين، ومابعده لما بعده"(٢) ومراد الشهاب باللف والنشرأنه إذا أريد بمعنى قوم"المؤمنون" كان التنكيرفيه للتعظيم، وإن أريد به" الكافرون" كان التنكيرفيه للتحقير – وذلك قوله"وما بعده لما بعده –، وإن أريد به"الفريقان" فيكون التنكير فيه للشيوع. وتجدرالإشارة إلى أن ماذهب إليه الشهاب قد سبقه إليه محيي الدين شيخ زادة(٣)ومن العلماء من حمل التنكير فى الآية على التعظيم(٤) ومنهم من قال بمعنيي التعظيم والتحقير(٥)، ومنهم من ذهب إلى معنيي التعظيم والإبهام(٦)، ومنهم من قال بالمعانى الثلاثة"التعظيم ، والتحقير، والشيوع"، ولكن دون إشارة إلى اللف والنشر.(٧) وقد يأتى التنكيرفى حاشية الشهاب محتملا التعظيم أوالتكثير، وذلك كماجاء فى قول الحق سبحانه"وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"(٨) إذ يقول البيضاوي:"وتنكيرهما للإبهام فى الوصف أى شاهد ومشهود لايكتنه وصفهما، أو المبالغة فى الكثرة كأنه قيل:ماأفرطت كثرته من شاهد ومشهود"(٩) وقال الشهاب:"قوله :"وتنكيرهماالخ ، المراد بالوصف مطلق أحوالهما أوالشهادة، والمراد الثانى هنا فتنكيره وتنوينه للتعظيم للوصف، كأنه قيل:شهادة لايحيط بها نطاق البيان، و"قوله:"أو المبالغة فى الكثرة، فالتنوين للتكثير"(١٠) وفى مواطن من حاشية الشهاب تراه يعلل لإيثارمعنى بلاغي على آخر، متخذا من مناسبة المقام له متكأ، حيث آثر التعظيم على التنويع كما جاء فى قوله تعالى" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا

---

(١) البيضاوي:٣/٢٦٩.

(٢) ينظر الشهاب:٨/١٨.

(٣) ينظر حاشيته:٤/٢٢٧.

(٤) ينظر الكشاف:٤/٢٨٨.

(٥) ينظرإرشاد العقل السليم:٨/٧٠

(٦) ينظر التحرير والتنوير:٢٥/٣٤٢.

(٧) ينظر روح المعانى:٢٥/١٤٧.

(٨) سورة البروج:٣.

(٩) البيضاوي:٣/٥١٧.

(١٠) الشهاب:٨/٣٤٢.

رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ"(١) إذ قال البيضاوي:"بمصابيح، بالكواكب المضيئة بالليل إضاءة السرج فيها، والتنكير للتعظيم"(٢)

وقال الشهاب:"قوله"والتنكيرأى فى مصابيح، أى مصابيح ليس كمصابيحكم التى تعرفونها ولم يجعله للتنويع؛لأن هذا أنسب للمقام"(٣) فقدعلل الشهاب ما ذهب إليه البيضاوي من إيثار التعظيم على التنويع ، ناظرا فى ذلك إلى مقام ورود الآية، وقد نحاالآلوسي نحوالشهاب إذقال"وتنكيرها للتعظيم...وقيل للتنويع والأول أولى"(٤) بينما أشاركل من الزمخشري والطاهربن عاشورإلى معنى التعظيم(٥)وكان من الأول بالفحوى، ومن الثانى بالنص. وفى مواطن أخرى من الحاشية تجد عكس الموضع السابق تماما إذ يرجح التنويع على التعظيم كما جاء فى قوله تعالى"وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا"(٦) حيث قال البيضاوي: "اسْتِكْبَارًا" أى :عظيما"(٧)

وقال الشهاب:"قوله:عظيما، هومن المصدرالمؤكد المنكر؛ فإن تنكيره للتعظيم، وهوأولى من كونه للتنويع"(٨)ومن العلماء من ذهب إلى التعظيم(٩)، ومنهم من جمع بينه وبين التنويع دون ترجيح واحد منهما على الآخر(١٠)، وبذا يحسب للشهاب ترجيحه التنويع على التعظيم.

ومن المعانى البلاغية للتنكيرعند الشهاب فى حاشيته التكثير، وقد يرد مستقلا، أومقترنا بمعنى آخر، أو محتملا له ولمعنى بلاغي آخر، أويرجح التكثيرعلى غيره من المعانى.

---

(١) سورة الملك:٥.

(٢) البيضاوي:٣/٤٢٥.

(٣) الشهاب:٨/٢١٨.

(٤) ينظر روح المعانى:٢٩/٨.

(٥) ينظرالكشاف:٤/٥٧٧، والتحريروالتنوير:٢٩/٢١.

(٦) سورة نوح:٧.

(٧) البيضاوي:٣/٤٥١.

(٨) الشهاب:٨/٢٥٠.

(٩) ينظر مفاتيح الغيب:٣٠/١٥٦، وإلرشاد العقل السليم:٩/٣٧، والتحرير والتنوير:٢٩/١٦٩.

(١٠) ينظر روح المعانى:٢٩/٧٢.

فقد جاءالتكثيرمستقلا بنفسه كماورد فى قوله تعالى"كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"(١) حيث قال البيضاوي:"من غم" من غمومها"(٢) وعلق الشهاب بقوله:"وقوله:"من غمومها" إشارة إلى عموم النكرة؛ لأن التنوين للتكثير، وذكر الضمير إشارة إلى أنه مقدر"(٣) فقد استنبط الشهاب معنى التنكيرمن معنى"من غمومها" التى أوردها البيضاوي، وأفصح عن ذلك بقوله"لأن التنوين – أى فى "غم" – للتكثير، ومن العلماء من ذهب إلى التعظيم والتفخيم.(٤) وجاءالتكثيرمقترنابمعنى المبالغة فى قول الحق سبحانه"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ"(٥) حيث قال البيضاوي:"وفى تنكير"ذهاب"إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة فى الإبعاد به؛ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ"(٦)(٧)

وقال الشهاب:" قوله:"إيماء إلى كثرة طرقه"لعموم النكرة وإن كانت في الإثبات، والمبالغة في الإبعاد ناشئة من كثرة الذهاب؛ فلذا كان أبلغ أي أكثر مبالغة من تلك الآية لأنّ فيها ذهاباً واحداً وهوالتغوير المشعر ببقائه غائراً؛ ولذا عقب بقوله" فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ" وذكرفي التقريب للأبلغية ثمانية عشروجهاً لكنها ليست كلها من التنكير، واختيرت المبالغة هنا لأن المقام يقتضيها إذ هولتعداد آيات الآفاق والأنفس على وجه يتضمن الدلالة على القدرة والرحمة مع كمال عظمة المتصف بهما"(٨)

ومما يلحظ أن الشهاب حينما يصطفى معنى للتنكيرتجده يستنطق المقام، ففى هذا الموضع أشارإلى أن نكات التنكير عديدة، إلا أن الذى يتواءم والمقام هوالمبالغة كما نص على ذلك.

---

(١) سورة الحج:٢٢.

(٢) البيضاوي:٢/٤٣٣.

(٣) الشهاب:٦/٢٩٠.

(٤) ينظر نظم الدرر:٥/١٣٤، وروح المعانى:١٧/١٣٥.

(٥) سورة المؤمنون:١٨.

(٦) البيضاوي:٢/٤٦٥.

(٧) سورة الملك:٣٠.

(٨) الشهاب:٦/٣٢٥.

هذا وفحوى كلام الزمخشري فى تنكيرذهاب فى الآية أنه للتكثير والمبالغة واعتبرذاك التنكير" من أوقع النكرات وأحزها للمفصل"(١)

وهناك من جعل التنكير للتفخيم والتعظيم(٢).

وقد أتى التنكيرفى حاشية الشهاب محتملاالتكثيرأوالتقليل والتحقير، وذلك كماجاء فى قول الحق سبحانه"الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ"(٣) حيث قال البيضاوي:"الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ"بدل من كل، أو ذم منصوب أومرفوع"(٤)

وقال الشهاب:"وقوله"مالا" تنكيره للتكثيرأوللتقليل والتحقير باعتبار أنه عند الله أحقر شيئ"(٥)

غني عن البيان القول بأن البيضاوي – رحمه الله – لم يشر إلى أن ثمة تنكيرفى الآية، مكتفيا بالإشارة إلى الناحية الإعرابية، وقوله"بدل من كل" يقصد به اسم الموصول"الذى".

بينما نرى الشهاب واضعا يده على التنكيرجاعلا له أحد معنيين، إما التكثير، وإما التقليل والتحقير، وقد علل ذهابه إلى التحقير.

والحق أن الشهاب فى إيراده معنى التقليل والتحقيرمسبوق فيما ذهب إليه، حيث أورد الرازي هذا المعنى عند تفسيره كلمة"مالا" فقال"والتنكير فيه يحتمل وجهين: أحدهما:أن يقال:المال اسم لكل ما في الدنيا كما قال"الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا"(٦) فمال الإنسان الواحد بالنسبة إلى مال كل الدنيا حقير، فكيف يليق به أن يفتخر بذلك القليل؟

---

(١) الكشاف:١٨٠/٣، وينظر مفاتيح الغيب:٢٦٩/٢٣، والبحر المحيط:٥٥٤/٧، وإرشاد العقل السليم:١٢٨/٦.

(٢) ينظر التحرير والتنوير:٢٩/١٨.

(٣) سورة الهمزة:٢.

(٤) البيضاوي:٥٦٧/٣.

(٥) الشهاب:٣٩٧/٨.

(٦) سورة الكهف من الآية:٤٦.

والثاني: أن يكون المراد منه التعظيم أي مال بلغ في الخبث والفساد أقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر به؟"(١)

هذا وقد ذهب البقاعي إلى التعظيم والتكثير(٢)، وأبو السعود إلى التفخيم والتكثير(٣)، أما الآلوسي فقد جمع فأوعى حيث ذكر أن التنكير فى"مالا" للتفخيم، والتكثير، والتحقير، والتقليل.(٤)

وقد ورد التنكير محتملا للتكثيرأوالتعظيم عند الشهاب فى قوله تعالى "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا"(٥) إذ قال البيضاوي:"وتنكيرنفس للتكثيركما فى قوله"عَلِمَتْ نَفْسٌ"(٦)، أوللتعظيم، والمراد نفس آدم"(٧) فقال الشهاب:"قوله:" وتنكيرنفس للتكثير" هذا وما بعده من التنوين، وقوله:"والمراد نفس آدم" على الثانى"(٨)

وترى الشهاب هنا مقتفيا أثرالبيضاوي فى ذهابه إلى التكثير والتعظيم ، فإذا قصد بالنفس ماورد فى قوله تعالى"عَلِمَتْ نَفْسٌ"كان التنكير للتكثير، أماإذا أريد بها نفسا مخصوصة وهى نفس آدم – عليه الصلاة والسلام – فيكون التنكير حينئذ للتعظيم.

هذا وقد أورد كثير من العلماء المعنيين دون ترجيح واحد على الآخر(٩)، وهناك من رجح التكثير على التعظيم(١٠)، بينما ذهب الطاهر بن عاشورإلى النوعية المفيدة معنى التكثير.(١١)

---

(١) مفاتيح الغيب:٣٢/٢٨٤.
(٢) ينظر نظم الدرر:٨/٥٢٦.
(٣) ينظرإرشاد العقل السليم:٩/١٩٨.
(٤) ينظر روح المعانى:٣٠/٢٣٠.
(٥) سورة الشمس:٧.
(٦) سورة التكوير من الآية:١٤، وسورة الانفطار من الآية:٥.
(٧) البيضاوي:٣/٥٣٨.
(٨) الشهاب:٨/٣٦٥.
(٩) ينظر الكشاف:٤/٧١٠، ٧٠٩، ومفاتيح الغيب:٣١/٦٧.
(١٠) ينظرإرشاد العقل السليم: ٨/٣٣٩، وروح المعانى:٣٠/٨٦.
(١١) ينظر التحرير والتنوير:٣٠/١٥٠.

وقد يرجح الشهاب فى حاشيته معنى التكثير على التعظيم كما جاء فى قول الحق سبحانه"وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا"(١) حيث فسرالبيضاوي الأجرالعظيم فى الآية بقوله"يستحقر دونه الدنيا وزينتها"(٢) وعلق الشهاب قائلا:"وتنكيرأجرا للتكثيرلا للتعظيم؛ لإفادة الوصف له"(٣) فلم يرتض الشهاب التعظيم معنى للتنكير فى كلمة"أجرا"، حيث دل عليه الوصف"عظيما"، ومن ثم بحث له عن معنى آخر فذكر التكثير.

بينما عبارة البيضاوي فى تفسير"أجرا" وهى"يستحقردونه الدنيا وزينتها" قد تحتمل الأمرين معا التكثير والتعظيم.

هذا وقد ألمح الرازي إلى معنى التعظيم.(٤)

ومن المعانى البلاغية للتنكيرعند الشهاب فى حاشيته التقليل، وقد يرد مستقلا، أومقترنا بمعنى آخر، أو محتملا له ولمعنى بلاغي آخر.

فمما جاء من التقليل مستقلا بنفسه ماورد فى قوله تعالى"يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ"(٥) حيث فسرالبيضاوي كلمة"متاع"فى الآية بقول:"تمتع يسيرلسرعة زوالها"(٦) ثم قال الشهاب:"قوله:"تمتع يسير" فسره به؛لأن التنوين والتنكير يدل على التقليل"(٧) فقداستنبط الشهاب معنى التقليل استنباطا من قول البيضاوي السابق، ولم يشرأحد – فيماأعلم– إلى ذلك سواه.

---

(١) سورة الأحزاب:٢٩.

(٢) البيضاوي:٣/٨٤.

(٣) الشهاب:٧/١٦٩.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب:٢٥/١٦٥.

(٥) سورة غافر:٣٩.

(٦) البيضاوي:٣/٢١٠.

(٧) الشهاب:٧/٣٧٢.

ومن التقليل قوله سبحانه"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(١)

إذ قال البيضاوي:"وليلا نصب على الظرفية، وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء"(٢)

وعلق الشهاب بقوله:"قوله:وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء، تقليل المدة كذا فى الكشاف، وتبعه المصنف – رحمه الله – وغيره"(٣)على أن هذا المعنى أورده كثير من العلماء(٤)، بينما نجد أبا حيان بعد ما ذكر قول الزمخشري – الذى أنبأ عن معنى التقليل – قدأضاف معنى التوكيد(٥)، وقد قام الشهاب برد ذلك القول حينما قال فى حاشيته"ولافائدة فى ادعاء أنه للتأكيد"(٦)وكذلك هناك من قال أن معنى التنكير فى الآية التأكيد والتعظيم.(٧) ومن مواضع التقليل ونجد فيه الشهاب يذكر معنى للتنكير بالإحالة على معنى تنكير آخر له المعنى نفسه على غرار ما ورد فى قول الحق سبحانه"وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"(٨)

قال البيضاوي مفسرا كلمة"زبورا":"وتنكيره ههنا....؛لأن المراد وآتينا داود بعض الزبر، أوبعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام"(٩)

---

(١) سورة الإسراء:١.

(٢) البيضاوي:٢/٢٨٩.

(٣) الشهاب:٦/٤.

(٤) ينظر الكشاف:٢/٦٤٦ ، ومفاتيح الغيب:٢٠/٢٩٢، ونظم الدرر:٤/٣٢٨، وحاشية شيخ زادة:٣/٢٠٨، وإرشاد العقل السليم:٥/١٥٤، وروح المعانى١٥/٥.

(٥) ينظر البحر المحيط:٧/٩.

(٦) السابق: ٦/٤.

(٧) ينظر التحرير والتنوير:١٥/١١.

(٨) سورة الإسراء:٥٥.

(٩) البيضاوي:٢/٣٠٧.

فقال الشهاب:"وقد مر الكلام على إفادة التنكير لمثله فى أول هذه السورة فى قوله"ليلا"، فالزبور كالقرآن يطلق على مجموعه وعلى أجزائه"(١)

يقصد الشهاب بقوله ذاك معنى التقليل، كمامر فى أول سورة الإسراء فى تنكير"ليلا"_ وهو فى الموضع السابق على هذا الموضع من البحث -، هذا ومأأورده الشهاب قال به العلماء(٢)، وهناك من ذهب إلى معنى التعظيم(٣)، ومن أشار إلى التقليل تارة، والتعظيم تارةأخرى(٤).

وقد يصحب التقليل العموم والإثبات كما ورد فى قوله تعالى"لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ"(٥)

يقول البيضاوي:"والتنكير للدلالة على قلتها، وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لإنجاء الجم الغفيروإدامة نسلهم"(٦)

وقال الشهاب:"وقوله:والتنكير، فإنه مع الإفراد المتبادر منه التقليل والعموم والإثبات نحو"وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ"(٧) نادرلا يقاس عليه"(٨)

فقد ذهب الشهاب إلى القاعدة النحوية المعروفة، وهى أن مايفيده التنكيرمن تقليل وعموم إنما يكثرمجيؤه فى النفى، أما والحالة هنا فكانت فى الإثبات، ومن ثم علق قائلا بأن هذا"نادرلا يقاس عليه"، واستشهد بقوله تعالى"وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ"(٩)؛ وذلك بناء على القاعدة التى تقول"النكرة فى سياق النفى تفيد العموم"(١٠)

---

(١) الشهاب:٦/٤٢، ٤١.
(٢) ينظر الكشاف:٢/٦٧٣، والبحر المحيط:٧/٦٩، وروح المعانى:١٥/٩٥.
(٣) ينظر مفاتيح الغيب:٢٠/٣٥٦.
(٤) ينظر إرشاد العقل السليم:٥/١٧٩.
(٥) سورة الحاقة:١٢.
(٦) البيضاوي:٣/٤٤٠.
(٧) سورة الحشرمن الآية:١٨.
(٨) الشهاب:٨/٢٣٧.
(٩) سورة الحشر من الآية:١٨.
(١٠) شرح الرضى على الكافية:١/٢٣٣.

هذا وهناك من العلماء من ذهب إلى أن التنكيرفى الآية للتقليل والتحقير(١)، ومـــنهم من زاد على هذين المعنيين معنى التكثير(٢)، ومنهم من ذهب إلى التقليل فحسب.(٣)

وقد يصحب التقليل التنويع كما جاء فى قوله سبحانه"وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي"(٤)

قال البيضاوي:"اختلف فى زوال العقدة بكمالها، فمن قال به تمسك بقوله تعالى" قَـــالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى"(٥)، ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى"وَأَخِي هَارُونُ هُـــوَ أَفْصَـــحُ مِنِّي لِسَانًا..."(٦)وقوله "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ"(٧)، وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لســـانه مطلقا بل عقدة تمنع الإفهام؛ ولذلك نكرها وجعل يفقه جواب الأمر"(٨)

قال الشهاب:"وقوله نكرها تنكير تقليل وتنويع"(٩)

وقد وردالتنكيرفى حاشية الشهاب محتملا التقليل أوالتكثير، وذلك كما جاء فى قولـــه تعالى"فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"(١٠)

قال البيضاوي فى تفسير"خير": "قليل أوكثير"(١١)

---

(١) ينظر الكشاف:٤/٦٠٠، ومفاتيح الغيب:٣٠/٦٢٤.

(٢) ينظر البحر المحيط :١٠/٢٥٧، إذ بعدما نقل ماقال الزمخشري – ناصا عليه – قـــال " وفيـــه تكثير".

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم:٩ /٢٣، وروح المعانى:٢٩/٤٣.

(٤) سورة طـــه:٢٨، ٢٧.

(٥) السورة السابقة:٣٦.

(٦) سورة القصص من الآية:٣٤.

(٧) سورة الزخرف من الآية:٥٢.

(٨) البيضاوي:٢/٨٩، ٨٨.

(٩) الشهاب:٦/١٩٨.

(١٠) سورة القصص:٢٤.

(١١) البيضاوي:٣/١١.

يقول الشهاب:"وقوله"قليل أوكثير من شيوع التنكير"(١)

وهذا الموضع من المواضع القليلة التى نجد الشهاب فيه لايحدد معنى دقيقا للتنكير، أو بالأحرى التى لايرجح فيها معنى على آخر.

وما ذهب إليه الشهاب قال به العلماء(٢)، بيد أن هناك منهم من جعل التنكيرفى"خير"للتعميم والتعظيم(٣)، ومنهم من جعله للتنويع والتعظيم(٤).

وقد يردالتنكيرفى حاشية الشهاب محتملا التقليل أوالتعظيم كما جاء فى قوله عزوجل"مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ"(٥)

قال البيضاوي:"قرأ الكوفيون بالتنوين؛لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم"(٦)

قال الشهاب:"وقوله:فزع واحد؛لأن التنكيرللوحدة، ويجوزكونه للتقليل أوللتعظيم، فإن كل فزع فى القيامة عظيم"(٧)

وفيما ذهب إليه الشهاب يبدو أنه آخذه من فحوى كلام الزمخشري إذ لم ينص على معنى التعظيم أوالتقليل حيث قال"فمن قرأ"من"فزعٍ"بالتنوين فله معنيان:

الأول:أى من فزع واحد وهو خوف العقاب – وهذا ما أشارإليه الشهاب بمعنى التقليل.

الثانى:أى مايلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم، فلا يخلون منه؛ لأن البشرية تقتضى ذلك"(٨)وهذا ما أشارإليه الشهاب بمعنى التعظيم، وما أورده الشهاب ذهب إليه كثير من العلماء"(٩)

---

(١) الشهاب:٧٠/٧.

(٢) ينظر الكشاف:٤٠٢/٣، ومفاتيح الغيب:٥٨٩/٢٤، وإرشاد العقل السليم:٩/٧.

(٣) ينظر حاشية شيخ زادة:٥٠٩/٣.

(٤) ينظر روح المعانى:١٠٨/١٥.

(٥) سورة النمل:٨٩.

(٦) البيضاوي:٥٧٧/٢.

(٧) الشهاب:٦١/٧.

(٨) ينظر الكشاف:٣٨٨/٣.

(٩) ينظر مفاتيح الغيب: ٥٧٥/٢٤ ، والبحر المحيط: ٢٧٥/٨ ، وحاشية شيخ زادة:٤٠٥/٣، وإرشاد العقل السليم:٣٠٥/٦.

ومن المعانى البلاغية للتنكيرفى حاشية الشهاب التبعيض فمن ذلك ما ورد فى قوله تعالى"أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ"(١)

قال البيضاوي:"أتعبدونه أو تطلبون الخير منه، وهواسم صنم كان لأهل بك من الشام، وهوالبلد الذى يقال له الآن بعلبك، وقيل البعل الرب بلغة اليمن، والمعنى أتدعون بعض البعول"(٢)

ويقول الشهاب:"وقوله:أتدعون بعض البعول، أى الأرباب، والمراد الأصنام، فالتنكير للتبعيض"(٣)

هذا وهناك من العلماء من أشارإلى التبعيض، ولكن دون أدنى إشارة إلى التنكيرفى الكلمة(٤)، ومنهم من نص على التنكيرومعنى التبعيض"(٥)

ومنه قوله تعالى"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(٦)

قال البيضاوي:"أى لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكون المسخورمنه خيراعند الله من الساخر"(٧)

ويقول الشهاب:"قوله:لايسخر بعض المؤمنين..الخ، فالتنكير للتبعيض"(٨)ومـاأورده

---

(١) سورة الصافات:١٢٥.

(٢) البيضاوي:١٥٨/٣.

(٣) الشهاب:٢٨٤/٧.

(٤) ينظر الكشاف:٦٠/٤، ومفاتيح الغيب:٣٥٤/٢٦، والبحر المحيط:١٢٢/٩، وإرشاد العقل السليم:٢٠٣/٧.

(٥)ينظر روح المعانى:١٤٠/٢٣.

(٦) سورة الحجرات:١١.

(٧) البيضاوي:٣٠٧/٣.

(٨) الشهاب:٧٩/٨.

الشهاب قال به بعض العلماء(١)، ومنهم من ذهب إلى التعميم(٢)، ومنهم من قال بالشيوع(٣).

ومنه قوله تعالى"وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"(٤)

قال البيضاوي"وتنكيرالمثوبة؛لأن المعنى لشيئ من الثواب خير"(٥) قال الشهاب:"ولايخفى موقع التنكير هنا ؛لأنه يفيد أن شيئاما من المثوبة خير مما هم عليه"(٦) ومن خلال كلام كل من البيضاوي والشهاب لاتجد نصا على التبعيض، بل هو شرحه ومعناه، فى حين أن هناك من العلماء من ألمح إلى معنى التبعيض، ولكن دون أدنى إشارة إلى التنكير (٧)، وهناك من نص على التنكير ومعناه نصا(٨)، وهناك من رأى أن التنكير للتقليل(٩)، والتقليل قريب من التبعيض.

ومن التبعيض قوله تعالى"مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ"(١٠)

ففى تفسيره لمعنى الجدال عرض البيضاوي حديثا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وردت فيه كلمة"جدال"فتحدث عن التنكير فيها، إذ قال" لما حقق أمرالتنزيل سجل بالكفرعلى المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق لقوله سبحانه"وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ"(١١)، وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه، وقطع تشبث أهل الزيغ به ، وقطع

---

(١) كالزمخشري فى أحد قوليه، ينظر الكشاف:٣٦٨/٤، وأبو السعود فى أحد قوليه، ينظر إرشاد العقل السليم:١٢١/٨، وروح المعانى:١٥٢/٢٦.

(٢)كأبى السعود فى أحد قوليه، ينظرإرشاد العقل السليم:١٢١/٨.

(٣) كالزمخشري فى أحد قوليه، ينظر الكشاف:٣٦٨/٤، والتحرير والتنوير:٢٤٧/٢٦.

(٤) سورة البقرة:١٠٣.

(٥) البيضاوي:١٢٦/١.

(٦) الشهاب:٢١٨/٢.

(٧) كالزمخشري، ينظر الكشاف:١٧٤/١، وكالرازي، ينظر مفاتيح الغيب:٦٣٤/٣.

(٨) ينظر البحر المحيط:٣٥٨/١.

(٩) ينظرإرشاد العقل السليم:١٤٠/١، وروح المعانى:٣٤٧/١.

(١٠) سورة غافر:٤.

(١١) السورة السابقة نفسها من الآية:٥.

مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات؛ ولذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "إن جدالاً فى القرآن كفر"(١)

بالتنكير مع أنه ليس جدالاً فيه على الحقيقة"(٢)

يقول الشهاب:"وقوله: بالتنكير يعنى به أن تنكيره فى الحديث للتبعيض، فيفيد أن بعضه كفر وضلال، كما أن بعضه جهاد فى المبطلين وعبادة، فليست المجادلة فيه مذمومة مطلقا"(٣)

هذا وقد رأى كثير من العلماء أن تنكير"جدالاً"فى الحديث النبوي السابق للتمييزبين جدال وجدال(٤)، وهناك من جمع بين التمييز والتنويع(٥)، ومنهم من رأى أنه للتنويع فحسب.(٦)

وقد أتى التنكير فى حاشية الشهاب محتملا التبعيض أو التنويع كما جاء فى قوله تعالى"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"(٧) حيث قال البيضاوي:"وتنكيرالقلوب ؛لأن المراد قلوب بعض منهم، أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها فى القساوة، أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة"(٨)

وقال الشهاب:"قوله:"قلوب بعض منهم" بمن التبعيضية إشارة إلى أن التنكير للتبعيض أو التنويع"(٩) ومأأشار إليه الشهاب أورده بعض العلماء(١٠)ومنهم من ذكرالمعنيين السابقين،

---

(١) الحديث رواه أبوداود الطيالسي، ينظرالأحكام الشرعية الكبرى لأبى محمد عبد الحق الإشبيلي- تحقيق/أبو عبد الله حسين عكاشة:١٤/٤- مكتبة الرشيد- السعودية- الرياض – ط أولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، وينظر الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضى البيضاوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي – تحقيق/أحمد مجتبى :٩٧٥/٣ –دار العاصمة – الرياض – د.ت.

(٢) البيضاوي:٢٠١/٣.

(٣) الشهاب:٣٥٨/٧.

(٤) ينظر الكشاف:١٥٠/٤، ومفاتيح الغيب:٤٨٦/٢٧، وإرشاد العقل السليم:٢٦٦/٧

(٥) حاشية شيخ زادة:١٢٤/٤.

(٦) ينظر روح المعانى:٤٣/٢٤.

(٧) سورة محمد – صلى الله عليه وسلم – :٢٤.

(٨) البيضاوي:٢٨٩/٣.

(٩) الشهاب:٤٩/٨.

(١٠) ينظر الكشاف:٣٢٦/٤، والتحير والتنوير:١١٤/٢٦.

ثم أضاف له رأياآخر فقال" ونحن نقول التنكير للقلوب للتنبيه على الإنكار الذي فيها؛ وذلك لأن القلب إذا كان عارفا كان معروفا لأن القلب خلق للمعرفة ، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف، وهذا كما يقول القائل في الإنسان المؤذي : هذا ليس بإنسان هذا سبع ؛ ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر".(١)، ومنهم من رأى أن التنكير للتبعيض والتعظيم من شأنها فى القساوة(٢)، ومنهم من قال بالتهويل من حال قسوتها، وبالتبعيض والتنويع(٣).

ومما أفاده التنكير فى حاشية الشهاب التنويع، وذلك كما ورد فى قوله تعالى"أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ"(٤)

قال البيضاوي: فى قوله" ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ" "إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل، وجعله مكانا للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به، وإن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل ..... والرعد صوت يسمع من السحاب .... والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا"(٥)

ويقول الشهاب:"وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات؛لأن المراد أنواع منها، كأنه قيل فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف"(٦)

ومما يلفت النظر هنا أن البيضاوي أومأ إلى معنى التنويع عند تفسيره الظلمات على احتمال أن المراد بالصيب المطر تارة، والسحاب تارة أخرى، أما فى"رعد ، وبرق" فلم يزد إلا أن عرفهما. بينما نجد الشهاب يشير إلى معنى التنويع لتنكير الكلمات الثلاث "ظلمات داجية،

---

(١) مفاتيح الغيب:٥٦/٢٨.

(٢) ينظر نظم الدرر:١٧٠/٧، وإرشاد العقل السليم:٩٩/٨.

(٣) ينظر روح المعانى:٧٤/٢٦.

(٤) سورة البقرة:١٩.

(٥) ينظرالبيضاوي:٥٦/١، ٥٥.

(٦) الشهاب:٣٩٧/١.

ورعد قاصف، وبرق خاطف"، ومن نافلة القول أن ما اورده الشهاب إنما هو مأخوذ من الكشاف، وقد أشار إلى ذلك فى حاشيته.(١)

ومن التنويع قوله تعالى"لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا"(٢)

إذ قال البيضاوي:فى تفسيرقوله تعالى"وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا" يعنى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا؛ ولذلك نكر الأنعام والأناسي"(٣) قال الشهاب"قوله:"ولذلك نكر" يعني أن تنكيره للتنويع، فالمراد نوع

من نوع من الأناسي والأنعام وهم سكان البوادي وكذا تنكير بلدة"(٤)

ومن الواضح أن البيضاوي قال مافحواه يشيرإلى التنويع، وإن لم ينص عليه كما نص الشهاب، كما أنه لم يشرإلى تنكيربلدة، وقد أشارإليه الشهاب.

ومن التنويع ماورد فى قول الحق سبحانه"قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ"(٥) قال البيضاوي:"شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب"(٦) قال الشهاب:"تنوين قلوب للتنويع"(٧)

وهنالم يذكر البيضاوي معنى للتنكيربل اكتفى بتوضيح معنى الوجيف، بينما ترى الشهاب يذكر الغرض البلاغي من التنكير ، وماأورده الشهاب ذكره أبو السعود وردد بينه وبين معنى التكثير(٨)، ونحا نحوه الآلوسي(٩)، بينما ذهب الطاهربن عاشورإلى التكثير(١٠).

---

(١) السابق:٣٩٧/١.

(٢) سورة الفرقان:٤٩.

(٣) البيضاوي:٥٢٦/٢.

(٤) الشهاب:٤٣٠/٦.

(٥) سورة النازعات:٨.

(٦) البيضاوي:٤٩٤/٣.

(٧) الشهاب:٣١٤/٨.

(٨) ينظرإرشاد العقل الشليم:٩٧/٩.

(٩) ينظر روح المعانى:٢٦/٣٠.

(١٠) التحرير والتنوير:٦٧/٣٠.

ومنه قوله تعالى" فِيهَافَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ"(١) قال البيضاوي:"فِيهَافَاكِهَةٌ" ضروب مما يتفكه به"(٢)

قال الشهاب:"وقوله"ضروب مما يتفكه به"أخذه من التنكير بمعونة مقام المدح"(٣)

ومما يلحظ فى هذا الموضع أن الشهاب يعتمد فى الوقوف على المعنى البلاغي للتنكير على المقام، كما أنه لم يشر إلى معنى للتنكير، إلا أنه علق على قول البيضاوي"ضروب مما يتفكه به"، ويستشف مما سبق أن كلا من البيضاوي والشهاب أرادا معنى التنويع، فتنويع الفاكهة مما يدل على مدح من تقدم لهم، ومماأعان على ذلك المعنى قول البيضاوي"ضروب"، وإن كان هذا المعنى فهم عنهما بالفحوى، إلا أن هناك من نص عليه نصا وأضاف إليه معنى التكثير(٤)، وهناك من قال بالتعظيم(٥) ومن قال بالتكثير(٦)بينما قال أبوحيان:أن تنكير فاكهة تخصيص لها بالانتفاع بها دون غيرها بما يذكر بعدها(٧).

ومن المواضع التى أفاد فيها التنكيرمعنى التنويع، وإن لم ينص عليه الشهاب نصا، ولكنه ألمح إليه إلماحا، ماورد فى قوله تعالى" فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(٨)

قال البيضاوي مفسرا ومعللا مجيئ الضمير فى قوله تعالى"أُوتِيتُهُ"

مذكراً، مع أن"نِعْمَةً"مؤنث، قال"والتذكير؛لأن المراد شيئ منها"(٩)

---

(١) سورة الرحمن:١١.

(٢) البيضاوي:٣/٣٥٣.

(٣) الشهاب:٨/١٣٢.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب:٢٩/٣٤٤.

(٥) ينظر نظم الدرر:٧/٣٧٧.

(٦) ينظر روح المعانى:٢٧/١٠٣.

(٧) ينظر البحر المحيط:١٠/٥٧.

(٨) سورة الزمر:٤٩.

(٩) البيضاوي:٣/١٩٢.

ويعلق الشهاب على ذلك قائلا:"وقوله:شيئ منها، أى من النعم، فلتأويلها بشيئ ذكرالضمير، والقرينة على ذلك التنكير"(١)

والمعنى الذى يؤمه كل من البيضاوي والشهاب من تنكير"نعمة" هو التنويع ؛وذلك لأن نعمه – سبحانه – متعددة، ومنها الصحة والغنى، والذرية...الخ، والمعنى أن الإنسان الكافر إذا ما أنعم عليه بشيئ من تلك النعم المتنوعة يقول:إنماأوتيتها باستحقاقى إياها.

وما ذكره الشهاب قال به العلماء.(٢)

وقد يأتى التنويع مصحوبا بالتعظيم كما جاء فى قول الحق سبحانه "أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ"(٣)

قال البيضاوي:"والصيب: فَيْعَل من الصوب وهو النزول، يقال للمطر وللسحاب، قال الشماخ:(٤) وَأَسْحَمَ دَانٍ صَادق الرَّعدِ صَيِّبٍ(٥)

وفى الآية يحتملهما، وتنكيره:لأنه أريد به نوع من المطر شديد"(٦) ويعلق الشهاب

---

(١) الشهاب:٣٤٣/٧.

(٢) ينظر الكشاف:١٣٣/٤، والبحر المحيط:٢١٠/٩، وحاشية شيخ زادة:١١٢/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢٥٨/٧، وروح المعانى:١٢/٢٤.

(٣) سورة البقرة:١٩.

(٤) الشماخ:هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني:شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة.كان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقا. وكان أرجز الناس على البديهة.جمع بعض شعره فى (ديوان – ط) شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان. وأخباره كثيرة. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار.والشماخ لقبه، ومات سنة ٢٢هـ.ينظر:الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي :١٧٥/٣ _ دار العلم للملايين– ط الخامسة عشرة – ٢٠٠٢م.

(٥) قد اطلعت على ديوانه بشرح/ أحمد بن الأمين الشنقيطي – مطبعة السعادة بمصر – ١٣٢٧هـ، ولم أعثر على قوله ذاك، فلعله مما ضاع من شعره.

(٦) البيضاوي:٥٥/١.

قائلا:"قوله"وفى الآية يحتملهما"أى: المطر والسحاب، والاحتمال لاينافى الترجيح لأحدهما، وفى قوله"وتنكيره:لأنه أريد به نوع من المطر شديد"إشارة ما إلى ترجيح كونه بمعنى المطر كما لايخفى(١)والتنكير فيه للتنويع والتعظيم، ولا مانع من الجمع بين معنييه ، ويحتمل أنّ التنويع من التنوين والشدة من صيغة الصفة المشبهة وإن كان المشهور فيها الدلالة على الثبوت لا على التهويل والتعظيم ، وإن كان لا مانع منه، وما قيل إنّ المصنف- رحمه الله- حمل التنكير على النوعية؛ لأنّ الصيب نوعان: شديد وضعيف والأولى جعل تنكيره للتعظيم ، وإنما اختار النوعية لاشتمالها على معنى العظمة؛ ولذا وصف النوع بالشدة، إلا أن هذا مناف لقوله: والآية تحتملهما كلام ناشىء من قلة التدبر، وفيما قدّمناه لك كفاية، وإنمارجح المصنف تفسيره بالمطرعلى عادة السلف في ترجيح التفسير المأثور(٢)

فالشهاب يرى التنكيرفى"صيب"مفيدا التنويع والتعظيم، وأنه ليس هناك مايمنع من الجمع بين المعنيين، ثم ذهب إلى احتمال أن التنويع ناجم عن التنوين فى الكلمة، وكذلك الشَّدَّة من صيغة الصفة المشبهة، مع أن ذلك يدل على الثبوت لا على التهويل والتعظيم، ثم يقرر الشهاب بعدم وجود مانع يجمع بين تلك المعانى، ثم يرد على من زعم أن البيضاوي اختار معنى النوعية على معنى التعظيم، ورده أن المصنف قال"والآية يحتملهما"أى المعنيين التنويع والتعظيم، ووصف من يقول ذلك عن كلام المصنف الواضح أنه قليل التدبر.

ومن التنكيرللتنويع والتعظيم ماورد فى قوله تعالى"خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"(٣) قال البيضاوي:"ومعنى التنكيرفى الآية أن على أبصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس، وهو التعامى عن الآيات"(٤)

قال الشهاب:" قوله:"نوع غشاء"هذا معنى قوله في الكشاف : نوعاً من الأغطية غيرما يتعارفه الناس.....، ثم الظاهر أن يحمل التنكيرعلى النوعية والتعظيم معاً، كما حمل على

---

(١) وإلى ذلك ذهب محيي الدين شيخ زادة فى حاشيته ، تنظر الحاشية:١/١٦٥.

(٢) الشهاب:١/٣٩٣.

(٣) سورة البقرة:٧.

(٤) البيضاوي:١/٤٤.

التكثيروالتعظيم معاً في قوله تعالى"فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ"(١)....وحمل التنكيرعليهما فمتجه؛لأنّ مآل التنويع للتعظيم- أيضاً-لإفادته الإبهام الدال عليه(٢) ففى تعليق الشهاب هنا على البيضاوي نرى رده معنى النوعية فحسب للتنكيرفى"غشاوة"وأن هذا المعنى قد قال به الزمخشري(٣)، ويرى الشهاب أن التنكيرهنا للنوعية والتعظيم معا، ويقررأن حمل التنكير لمعنيين ليس بدعا، فقد حمل التنكيرفى قوله تعالى"فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ"(٤)على التكثيروالتعظيم معا، ويعلل لرأيه بقوله:وحمل التنكير عليهما- أى النوعية والتعظيم معا- فمتجه؛لأنّ مرجع ومآل التنويع للتعظيم لإفادته الإبهام الدال عليه(٥) وجدير بالذكر هنا التنويه على شخصية الشهاب العلمية المستقلة فى أخذه ورده وإضافته كما فى هذا الموضع.

ومما أفاده التنكير فى حاشية الشهاب التعميم فمن ذلك ماجاء فى قوله تعالى"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"(٦)

قال البيضاوي:"وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم"(٧)

قال الشهاب:"وقوله للتعميم"؛لأنه نكرة فى سياق الشرط فتعم كما قرر فى الأصول فيفيد العموم"(٨)

وما ذهب إليه الشهاب هنا هو ماذكره الزمخشري ولكن بلفظ آخر حيث جعل التنكيرفى" فاسق"و"نبأ" للشياع(٩)

---

(١) سورة فاطرمن الآية:٤.

(٢) الشهاب:٢٩٨/١.بتصرف قليل.

(٣) ينظر الكشاف:٥٣/١.

(٤) سورة فاطرمن الآية:٤.

(٥) الشهاب:٢٩٨/١بتصرف.

(٦) سورة الحجرات:٦.

(٧) البيضاوي:٣٠٦/٣.

(٨) الشهاب:٧٦/٨.

(٩) ينظر الكشاف: ٣٦٠/٤، ومفاتيح الغيب:٩٨/٢٨.

وقد ورد التعميم مصحوبابالتعريض، وذلك ماجاء فى قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَعَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَأَدْنَى بِالَّذِي هُوَخَيْرٌاهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِالْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ"(١)

قال البيضاوي:"بغيرالحق عندهم إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جوازقتلهم، وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشارإليه بقوله"ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ"(٢)

قال الشهاب:"والحق وقع معرّفا هنا ومنكرا في آية أخرى(٣)، فالتعريف إمّا للجنس، أي بغيرحق أصلاً أو للعهد، أي بغيرالحق الدّي عندهم وفي معتقدهم، وكلام المصنف- رحمه الله - يحتملهما ..... والتنكيرفي آل عمرآن للتعميم والتعريض؛بأنهم حول نبينا صلى الله عليه وسلم بالقتل ولهذا لم يقل وكانوا يقتلون ، فالمناسب أن يقال بغير حق من الحقوق لئلا يوهم أنه لو كان حقاً عندهم لما استحقوا زيادة الذمّ، وقيل:إنه للمتقين"(٤)

فالشهاب يشير إلى تنكيركلمة"حق" فى آل عمران، بالمقارنة إلى مثيلتها المعرفة فى سورة البقرة.

وما ذهب إليه الشهاب من معنى التعميم قال به الرازي إذ قال" فإن قيل:قال هاهنا:"وَيَقْتُلُونَ

---

(١) سورة البقرة:٦١.

(٢) ينظرالبيضاوي:١/١٠٦.

(٣) وردت ثلاث آيات فى سورة آل عمران بتنكير كلمة"حق"قال تعالى"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ":٢١.وقوله عزوجل" ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ":١١٢.وقال سبحانه" لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ":١٨١، ومن الواضح أن الشهاب يقصد الآية:١١٢.

(٤) ينظرالشهاب:٢/١٧١.

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ" ذكرالحق بالألف واللام معرفة، وقال في آل عمران"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ" :نكرة، وكذلك في هذه السورة"وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَاعَصَوْا وَكَانُوايَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً" ، فما الفرق؟الجواب : الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل، قال عليه السلام "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى معان ثلاث، «كفر بعد إيمان، وزنا بعد

إحصان، وقتل نفس بغيرحق»(١)، فالحق المذكوربحرف التعريف إشارة إلى هذا، وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة.(٢) فالشهاب قال بالعموم كالرازي وأضاف التعريض.

وقد يصحب التعميم الإقناط الكلي كما جاء فى قول الحق"وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ"(٣)

يقول البيضاوي: مفسرا كلمة"شيئا""وإيراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي"(٤)

ويعلق الشهاب قائلا:"قوله"وإيراده منكرا الخ" أى تنكير شيئ ونفس الدال على العموم فى الشافع والمشفوع له، وفيه ليفيد اليأس الكلي إلا من رحمه الله"(٥)

فما أشار إليه الشهاب من التعميم والتيئيس لمعنى التنكيرفى الكلمات السابقة" نفس" المكررة مرتان، وشيئا، نجد الشهاب فى ذلك موافقا للبيضاوي، وهوماذكره العلماء.(٦)

---

(١) الحديث فى مسند الإمام الشافعي:١٦٤- دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت.، وفى كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي أبي عبد الله – تحقيق /سمير أمين الزهيري:١٨٥/١ – مكتبة التوحيد – القاهرة- ط أولى ١٤١٢ هـ.

(٢) مفاتيح الغيب:٥٣٥/٣

(٣) سورة البقرة:٤٨.

(٤) البيضاوي:٩٩/١.

(٥) الشهاب:١٥٦/٢.

(٦) ينظر الكشاف:١٣٦/١، ومفاتيح الغيب:٤٩٦/٣، والبحر المحيط:٣٠٨/١، وحاشية شيخ زادة:٢٩٧/١، وإرشاد العقل السليم:٩٩/١، وروح المعانى:٢٥١/١، والتحرير والتنوير:٤٨٥/١.

ومما أفاده التنكيرعند الشهاب فى حاشيته إيهام التحقيركما جاء فى قوله تعالى"لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ"(١)

قال البيضاوي معللا تقديم الإناث وتأخير الذكور:"ولعل تقديم الإناث؛لأنهاأكثرلتكثيرالنسل، أولأن الكلام في البلاء، والعرب تعدهن بلاء، أولتطييب قلوب آبائهن، أوللمحافظة على الفواصل؛ولذلك عرف الذكور، أولجبرالتأخير"(٢)

علق الشهاب على عبارة البيضاوي الأخيرة فقال:"قوله:لجبر التأخيربالتعريف لما في التنكير من إيهام التحقير، وفي التعريف من التنويه بذكرهم؛ لإشعاره أنهم لشدة محبتهم لهم هم نصب خواطرهم فكأنه قيل:يهب لكم أولئك الفرسان الأعلام المعهودين في الأذهان"(٣)

هذا وقد نص الزمخشري على قيمة تعريف الذكور بأنه تنويه وتشهير، وكأنه قال ضمناأن تنكير"إناثا" تحقيروتهوين"(٤)

وذكرالرازي أن التعبيرعن الإناث بلفظ التنكير، وعن الذكور بلفظ التعريف للتنبيه على كون الذكرأفضل من الأنثى(٥)وأوردأبوالسعود ما قاله البيضاوي(٦)، بينما جعل الطاهربن عاشورتنكيرالإناث بأنه هوالأصل فى أسماء الأجناس(٧).

ومما هوقريب من ذلك وجاء مفيدا للتحقيرماجاء فى قوله سبحانه:-

"أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ"(٨)

قال البيضاوي:"وتعريف البنين بما مرفى الذكور"(٩)

---

(١) سورة الشورى:٤٩.
(٢) البيضاوي:٢/٢٤٢.
(٣) الشهاب:٧/٤٢٨.
(٤) ينظر الكشاف:٤/٢٣٢، والبحر المحيط:٩/٣٤٨.
(٥) ينظر مفاتيح الغيب:٢٧/٦١٠.
(٦) ينظرإرشاد العقل السليم:٨/٣٧.
(٧) ينظر التحرير والتنوير:٢٥/١٣٨.
(٨) سورة الزخرف:١٦.
(٩) البيضاوي:٣/٢٤٧.

قال الشهاب:"وقوله:"وتعريف البنين الخ" إشارة إلى ما مرّفي سورة الشورى في وجه تقديم الإناث، وتنكيره وتعريف البنين وتأخيره والمراد أن التقديم لأنه الأنسب بالمقصود، إذهوأشد في إنكارما نسبوه له تعالى، ولما قدم منكراًجبر(١) تأخير البنين بالتعريف للإشارة إلى أنهم نصب أعينهم فالتعريف للتنويه بالذكور، وتحقير الإناث فيفيد زيادة في الإنكار والتعجيب، ولا يجري فيه ما ذكر ثمة بتمامه بعينه للفرق بين السياقين، وليس التعريف هنا للفاصلة لأنّ التنكيرلاينافيها"(٢)

فالشهاب – على سنن البيضاوي – جعل التنكيرفى"بنات" للتحقير، ثم يبرزما للسياق من قيمة فى استجلاء المعانى، فإذا ما تشابهت الأساليب بين تنكيروتعريف لذوات الكلمات، ففى سورة الشورى"إناثا"و"الذكور"وهنا فى الزخرف"بنات"و"بالبنين"، إلا أن للسياق دوره فى استكناه المعانى والوقوف عليها، كماأن الشهاب يرد على من قال أن تعريف البنين لرعاية الفاصلة، يرد عليه بأنه حتى لوجيئ به"منكرا" فقيل فى غير القرآن"...وأصفاكم ببنين" فلا تغيير فى الفاصلة، حيث قال:"لأن التنكير لاينافيها".

هذا ومأأشارإليه الشهاب من معنى كل من التنكيروالتعريف فى"بنات، والبنين" قال به العلماء(٣)، بيد أن محيي الدين شيخ زادة له كلام فيه زيادة تفصيل وبيان يرى البحث ذكره هنا إذ يقول معلقاً على قول البيضاوي السابق:"

يعنى إن سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تأخرهن عن البنين وجودا وشرفا، ولزم من ذلك تأخير البنين جبر ذلك بتعريفهم تشريفا وتعظيما، كما نكرت البنات تحقيرا لهن وإهانة، وإنما قلنا أن الكلام اقتضى تقديم البنات ؛لأن الكلام إنما سيق لتوبيخهم وإنكار أنهم أثبتوا له تعالى أخس الأولاد، ولأنفسهم أشرفها فكان ذكر البنات هوالذى سيق له الكلام أصالة، وذكرالبنين وقع استطرادا لمزيد الإنكاروالتعميم(٤).

---

(١) فى حاشية الشهاب"جر"، ولعل الصواب ما تم إثباته، ينظر الحاشية:٤٣٧/٧.

(٢) السابق:٤٣٧/٧.

(٣) ينظر الكشاف:٢٤٢/٤، ٢٣٢، وإرشاد العقل السليم:٤٢/٨، وروح المعانى:٧٠/٢٥، والتحريروالتنوير:١٧٩/٢٥.

(٤) ينظرحاشيته:١٩٦/٤.

ومما أفاده التنكيرفى حاشية الشهاب التجاهل، وذلك ماورد فى قوله سبحانه"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"(١)

قال البيضاوي:"هل ندلكم على رجل" يعنون به محمدا عليه الصلاة والسلام"(٢)

وقال الشهاب:"وقوله يعنون به محمدا عليه الصلاة والسلام، والتعبيرعنه برجل المنكر من باب التجاهل، كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل وهو عندهم أشهر من الشمس:

وَلَيْسَ قَوْلُكَ:مَن هذا؟بضَائرِه * العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ(٣)

ومن البادى أن البيضاوي لم يشرإلى معنى التنكيرفى"رجل"إلا أن الشهاب، أشارإلى ذلك، ولعله متأثر فيما ذهب إليه بما أورده الزمخشري حينما قال"تنكير"رجل" كانوا يقصدون بذلك الطنز(٤) والسخرية، فأخرجوه مخرج التحلى ببعض الأحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره"(٥)

ومن معانى التنكير البلاغية فى حاشية الشهاب الدهشة والحيرة، من ذلك ماجاء فى قوله تعالى"يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(٦)

قال البيضاوي مفسرا قوله تعالى"كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ..."":"وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه، أولازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره"(٧)

---

(١) سورة سبأ:٧.

(٢) البيضاوي:٣/١٠٠.

(٣) البيت فى ديوان الفرزدق: ، وينظر حاشية الشهاب:٧/١٩٠.

(٤)طَنَزَ يَطْنِزُ طَنْزاً كلمه باستهزاء فهو:طَنَّاز، قال الجوهري:أَظنه مولَّداً أَو معرَّباً والطَّنْز السُّخْرِيَةُ، وفي نوادر الأَعراب: هؤُلاءِ قوم مَدْنَقَة ودُنَّاق، ومَطْنَزَةٌ إِذا كانوا لا خيرفيهم هَيِّنَةً أَنفُسُهم عليهم، لسان العرب:طنز.

(٥) الكشاف:٣/٥٧٠، وينظر البحر المحيط:٨/٥٢١، وإرشاد العقل السليم:٧/١٢٢، وروح المعانى:٢٢/١٠٩، والتحريروالتنوير:٢٢/١٤٨.

(٦) سورة البقرة:٢٠.

(٧) البيضاوي:١/٥٧.

قال الشهاب:"والممشى محل المشى، ونكره إشارة إلى دهشتهم وحيرتهم بحيث يخبطون خبط عشواء، ويمشون كل ممشى"(١)

هذاولم يشرإلى ماأشار إليه الشهاب- فيما أعلم- سوى الآلوسي.(٢) ومن المعانى البلاغية للتنكيرعند الشهاب التلطف، وقد أتى ذلك فى قوله تعالى"مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"(٣)

حيث قال البيضاوي:"ماكان لنبي" وقرئ للنبي على العهد"(٤)

بينما علق الشهاب قائلا:"قوله:"ما كان لنبئ الخ"التنكيرقراءة الجمهور، والتعريف قراءة أبي الدرداء - رضي الله عنه- وأبي حيوة، والمرادعلى كل حال نبينا- صلى الله عليه وسلم-، وإنما نكر تلطفاً به - صلى الله عليه وسلم- حتى لا يواجه بالعتاب؛ولذا قيل إنه على تقدير مضاف أي أصحاب النبيّ- صلى الله عليه وسلم- بدليل قوله تعالى"تريدون"، ولوقصد بخصوصه لقيل تريد؛ولأن الأمورالواقعة فى القصة كما سيأتى صدرت منهم لامنه - صلى الله عليه وسلم -، وكلام المصنف - رحمه الله - صريح فى أنه المراد؛لأنه سيذكرالاستدلال بها على اجتهاد النبي - صلى الله عليه وسلم- وهويقتضى ذلك"(٥)

فمما سبق من تعليق الشهاب يتضح أنه أورد قراءتين" لنبي" إحداهمابالتنكير، والأخرى بالتعريف، وقدعزا كل قراءة لأصحابها، ثم ذكرأن المراد - سواء بتعريف"النبي" أو تنكيره - هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم ذكر أن معنى التنكير هو التلطف برسول الله - عليه السلام -، ثم علل لمعنى التلطف بعدم مواجهته عليه السلام بالعتاب، واستدل بأن المقصود هم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- بأن يكون الكلام على حذف مضاف، والدليل أنه تعالى قال بعد ذلك " تريدون" ولو كان المقصود هو النبي - عليه السلام -

---

(١) الشهاب:١/٤٠٤.

(٢) ينظرروح المعانى:١/١٩٥.

(٣) سورة الأنفال:٦٧.

(٤) البيضاوي:٢/٣١.

(٥) الشهاب:٤/٢٩١.

لقال"تريد".هذا وقدأشار أبو حيان إلى القراءتين، وأشارإلى أن التنكير فيه إبهام فـــى كـــون النفي لم يتوجه عليه معينا"(١)ولعل هذا القول من أبى حيان هو الذى فتق منه الشهاب معنى التلطف، ومأورده الشهاب قال به الآلوسي(٢)، بينما ذهب الطاهر بن عاشورإلى أنه جِيـــيءَ بِنَبِي نَكِرَةً إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا حُكْمٌ سَابِقٌ فِي حُرُوبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.(٣)

وقد يشيرالشهاب فى حاشيته إلى أن التنكيرفى كلمة ما قد يكون لمشاكلته ومشابهته تنكيـــرا آخر، وذلك كماجاء فى قوله تعالى"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ"(٤)

قال البيضاوي"والتنكيرمع التكريـــر؛لأن المتـــأخر لـــيس عـــين المتقـــدم"(٥) وعلـــق الشـــهاب قائلا:"وقوله:والتنكير مع التكريرالخ، مراده بالمتأخر الأخيـــر لمغايرتـــه لـــلأول إذ هـــو ضـــعف الشيخوخة، وذاك ضعف الطفولية، وأماالثانى فهوعين الأول ونكرللمشاكلة لهما، وكـــذا قـــوة"(٦) واضح هنا أن التنكير منصب فى قوله تعالى"خَلَقَكُمْ مِنْ ضَـــعْفٍ ثُـــمَّ جَعَـــلَ مِـــنْ بَعْـــدِ ضَـــعْفٍ قُوَّةً"وهوتنكير كلمة"ضعف الثانية"، إذ معناهـــا هـــوعين معنـــى"ضـــعف الأولـــى"وهـــو- كمـــا أشارالشهاب- ضعف الطفولية، ولم يشر الشهاب إلى معنى بلاغي له، بل اكتفى بأن تنكيره كـــان لمشاكلته ومشابهته كلمتي"ضعف" الأولى، و"ضعفاً" الأخيرة، ولا يقصد الشهاب بالمشـــاكلة هنـــا المشاكلة الاصطلاحية فى علم البديع، وإنما يقصد المشابهة والمماثلة والمحاكاة.

وما أشارإليه الشهاب من تنكيروتكريرفى هذه الآية ذكره بعض العلماء(٧)

****

(١) ينظر البحر المحيط:٥/٣٥٢.

(٢) ينظر روح المعانى:١٠/٣٣.

(٣) التحرير والتنوير:١٠/٧٤.

(٤) سورة الروم:٥٤.

(٥) البيضاوي:٣/٥٦.

(٦) الشهاب:٧/١٢٩.

(٧) ينظر إرشاد العقل السليم:٧/٦٦، وروح المعانى:٢١/٥٩.

الخاتمة

فبعد معايشة ممتعة وشائقة مع المعانى البلاغية للتنكير فى حاشية الشهاب يمكن القول بأن البحث خلص إلى:-

. إفادة التنكيرعدة معان بلاغية، من قبيل التعظيم، والتحقير، والتقليل، والتكثير، والتنويع، والتعميم، والتبعيض، والتجاهل، والدهشة والحيرة، والتلطف، والتنكيرلمشاكلة تنكير آخر.

. أحيانا ترد بعض المعانى السابقة مستقلة بنفسها غير مصحوبة بمعنى بلاغي آخر، وأحياناأخرى تصحبها معان بلاغيةأخرى.فقد ورد التعظيم مع النوعية، والمبالغة، كما ورد مع التقليل العموم، والتنويع، وورد مع التنويع التكثيروالتعظيم، وصحب التعميم التعريض، والإقناط الكليَّ.

. وأحيانا يرد التنكيرمرددا بين معنى بلاغي وآخر، حيث ورد التنكيرفى حاشية الشهاب مفيدا للتعظيم والمبالغة أو التبعيض، وللتعظيم أوالتحقير، وللتعظيم أوالتحقيرأوالشيوع، ، وللتعظيم أوالتبعيض، وللتعظيم

أوالتقليل، وللتعظيم أوالتكثير، والتكثيرأوالتعظيم، والتكثيرأوالتقليل والتحقير، والتقليل أوالتعظيم، والتقليل أوالتكثير.

. بروز شخصية الشهاب العلمية المستقلة، فهو لاينقل عن البيضاوي فحسب، فقد يخالف، أو يضيف، أويرجح معنى بلاغيا على آخر.

فقد خالف البيضاوي فى معنى التنكير فى قوله تعالى"عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(١)واعتمد على قول الزمخشري .

كما خالفه – أيضا- فى تنكير قول الحق" أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا"(٢)

---

(١) سورة يس:٤.

(٢) سورة المرسلات:٢٦.

إذ جعله البيضاوي للتعظيم أوالتبعيض، بينما ذهب الشهاب إلى التعظيم والتكثير.

ومن الدلائل على شخصيته العلمية رده معنى النوعية فحسب للتنكيرفى"غشاوة" فى قوله تعالى" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"(١) معللا بأن هذا المعنى قد قال به الزمخشري ، ورأى الشهاب أن التنكيرفى الآية للنوعية والتعظيم معا، ويقررأن حمل التنكير لمعنيين ليس بدعا، فقد حمل التنكيرفى قوله تعالى"فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ"(٢)على التكثيروالتعظيم معا، ويعلل لرأيه بقوله:وحمل التنكيرعليهما- أى النوعية والتعظيم معا- فمتجه؛لأنّ مرجع ومآل التنويع للتعظيم لإفادته الإبهام الدال عليه.

كما خالف بعض العلماء كالزمخشري فى معنى التنكيرفى قوله تعالى"فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ"(٣) فالزمخشري جعل التنكيرفى"عين" للتكثير، بينما رأى الشهاب أنه للتعظيم.

كما رد على أبى حيان عندما أضاف معنى التأكيد فى آية الإسراء"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا"(٤) فقال الشهاب فى حاشيته: ولافائدة فى ادعاء أنه للتأكيد.

كما تجده يرجح أو يضيف أو يرد بعض الآراء كما فى قوله تعالى"وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ".(٥)

وقد يعلل لإيثار معنى بلاغي على آخركما آثرالتعظيم على التنويع فى قوله تعالى"وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ"(٦)

وقد يرجح التكثيرعلى التعظيم كما جاء فى قوله تعالى".... فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا"(٧)

---

(١) سورة البقرة:٧.

(٢) سورة فاطر من الآية:٤.

(٣) سورة الغاشية:١٢.

(٤) سورة الإسراء من الآية:١.

(٥) سورة يس:٦١.

(٦) سورة الملك من الآية:٥.

(٧) سورة الأحزاب من الآية:٢٩.

وقد يضيف، ومن إضافاته أنه حينما ذكرالبيضاوي معنى التعظيم لتنكيرقوله تعالى"... مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا"(١) نوه الشهاب إلى أساليب أخرى أسهمت فى معنى التعظيم سوى التنكير.

. قد ينص الشهاب على معنى التنكيرنصا بناء على مانص عليه البيضاوي، وأحيانا يذكر الغرض البلاغي للتنكير على ضوء فهمه منه، وإن لم يذكره البيضاوي، كما ورد فى قوله تعالى" إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا"(٢)

. قد يشير إلى التنكير دون ذكر معنى بلاغي له، بل لمشاكلته لتنكيرآخركما ورد فى قوله تعالى"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ"(٣)

. عنى بالمقام والسياق عند الوقوف على المعنى البلاغي للتنكير؛ وذلك لما للسياق من قيمة فى استجلاء المعانى، فإذا ما تشابهت الأساليب بين تنكيروتعريف لذوات الكلمات، فمثلا فى سورة الشورى"إناثا"و"الذكور"وفى سورة الزخرف"بنات" و"بالبنين"، فكان للشهاب وقفته أمام السياق مستنطقا دوره فى استكناه المعانى البلاغية للتنكيروالوقوف عليها.

. لم يكتف الشهاب فى بيان معانى التنكيرالتى يذكرها البيضاوي فى تفسيره لآيات القرآن الكريم، بل تعدى ذلك حتى أنه يتعرض للتنكير فى أحاديث نبوية أشارفيها البيضاوي إلى تنكير بعض كلماتها.

. وقد يذكر الشهاب معنى التعظيم للتنكير بالإشارة إلى ماأفاده من ضد معناه – أى التحقير– فى آية أخرى، كما جاء فى قوله تعالى" وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"(٤)

---

(١) سورة طه من الآية:٩٩.

(٢) سورة النساء من الآية:١٠.

(٣) سورة الروم:٥٤.

(٤) سورة الفرقان:

. قد يعتمد فى الوقوف على المعنى البلاغي للتنكير على قراءة من القراءات، كما ورد عند قوله تعالى"مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"(١)

****

" .... وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

واللـــه الموفق

---

(١) سورة الأنفال:٦٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الأحكام الشرعية الكبرى لأبى محمد عبد الحق الإشبيلي- تحقيق/أبو عبد الله حسين عكاشة، مكتبة الرشيد - السعودية- الرياض - ط أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسيرأبى السعود- دارإحياء التراث العربي- بيروت- د.ت.

٣- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي- دار العلم للملايين- ط الخامسة عشرة - ٢٠٠٢م.

٤- الأمثال لأبى الخير زيد بن عبد الله بن رفاعة الهاشمي، دمشق - دار سعد الدين - ط ١٤٢٣هـ.

٥- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت - ١٤٢٠هـ .

٦- البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الين إسماعيل بن كثير، ط ثانية - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٧٩م.

٧- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- ط ثانية - ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م

٨- التحريروالتنوير«تحريرالمعنى السديد وتنويرالعقل الجديد من تفسيرالكتاب المجيد» لمحمد الطاهربن محمد الطاهرالتونسي- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٤م.

٩- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبى سعيدعبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق/محمد صبحي حسن حلاق، ود/محمودأحمد الأطرش- دار الرشيد- دمشق- بيروت- ط أولى ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م.

١٠- تفسير المحررالوجيزفي تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

١١- حاشية ابن المنيرعلى الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل- دار الكتاب العربي - بيروت- ١٤٠٧هـ.

١٢- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي- دار صادر- بيروت - د.ت

١٣- حاشية محيي الدين شيخ زادة محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوى على تفسير البيضاوي- مطبعة مكتبة الحقيقة- تركيا - استانبول- ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

١٤- خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، محمد الأمين المحبي- مكتبة الخياط - بيروت - د.ت.

١٥- دائرة المعارف الإسلامية، تعريب/أحمد الشنتناوي ، ومحمد ثابت الفندى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس- مصر - ١٩٣٣- ١٩٧٥م.

١٦- ديوان الشماخ بشرح/ أحمد بن الأمين الشنقيطي - مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٧هـ

١٧- روح المعانى في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، تحقيق/على عبد البارى عطية- دار الكتب العلمية ـ بيروت - ط ١٤١٥هـ.

١٨- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي، تحقيق/ عبد الفتاح الحلو:٢/٣٢٧-٣٤٠، مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط أولى - ١٩٦١م.

١٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي- دارالمسيرة - بيروت- ط ثانية - ١٩٧٩ م.

٢٠- طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي-دار الكتب العلمية - ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢١- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على السبكي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي - مطبعة عيسى البابى وشركاه - ط أولى ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م

٢٢- الغاية القصوى فى دراية الفتوى تحقيق/محيى الدين على القرة داغى- د.ت.

٢٣- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضى البيضاوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي- تحقيق/أحمد مجتبى- دار العاصمة - الرياض - د.ت.

٢٤- كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي أبي عبد الله - تحقيق /سمير أمين الزهيري- مكتبة التوحيد - القاهرة- ط أولى ١٤٢٢ هـ.

٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٧هـ.

٣٢- لسان العرب لابن منظور- دار صادر - بيروت- ط أولى د.ت.

٣٣- مسند الإمام الشافعي- دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

٣٤- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د/عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط أولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٣٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمررضا كحالة المكتبة الهاشمية - دمشق - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٣٦- مفاتيح الغيب لفخرالدين الرازي- دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق/عبدالرازق غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.